شرح

فضـــائل القـــرآن

فضيلة الشيخ

محمد بن رمزان الهاجري -حفظه الله

ملاحظة / الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فالحمد لله على ما منَّ به من هذه المجالس- مجالس العلم- في المذاكرة في كتب أهل العلم التي ألَّفوها لدعوة النَّاس وبيان الحقِّ للخلق ، ومن ضمن هذه الرَّسائل التي نحن في صدد استعراضها في هذه الدورة العلمية الثامنة المقامة في جامع عتبة بن غزوان ﷺ بمدينة الدمام ، فعلى بركة الله نبدأ بقراءة هذه الرسالة .

المتن : قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – : (بسم الله الرحمن الرحيم ، بابُ فضائل تلاوة القرآن وتعلُّمه وتعلِيمه) .

الشرح : هنا المؤلف – رحمه الله – استفتح بالبسملة كعادة الأولين في استفتاحاتهم في المكاتبات وفي الكتب اقتداءًا بالقرآن .

وهذه الرسالة (فضائل القرآن) رسالة عظيمة ، تميزت بكثرة النصوص كما هي عادة الشيخ – رحمه الله – فالمتأمِّل في كتاباته يجد أنها مليئة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية ، هذه هي طريقته غفر الله له .

وهذه الرسالة مخطوطة موجودة خرج عليها بعض التعليقات والتحقيقات كما في مجموع كتب الشيخ – رحمه الله – التي طبعتها جامعة الإمام ، وأيضًا موجودة من ضمن مجموع الدُّرر السَّنية ، وهي أيضًا موجودة مخطوطة مستقلة في المكتبة السعودية ، وهناك رسالة حُققت في ذلك وخرجت للأسواق تعليقات على هذا الكتاب . وأمَّا أن هذا الكتاب خُدم بالشرح فلم يُخدم الخدمة التي خُدمت بها رسائل وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمة الله عليه – ؛ ففي كتابه (كتاب التوحيد) ناقش مسائل الاعتقاد والعبودية والتوحيد ، وفصَّل فيما يخالف ذلك في مسائل الشرك وما ينافي التوحيد وكماله ، وينقض أصله و ينافي كماله أو ما يخلُّ به .

وفي رسالته (فضل الإسلام) أيضًا ناقش فيها ما يتعلق بمسائل الاتباع ، وردَّ فيها على أهل الأهواء والابتداع .

أما في هذه الرسالة (فضائل القرآن) ناقش فيها أهل القرآن والذين استقاموا عليه وميزانهم السُّنية ، وردَّ على الخوارج الذين كثيرًا ما يتعلَّقون بالقرآن ويدَّعون أنهم من أهله ، فعرَّاهم وبيَّن أنهم ليسوا من أهله ؛

فصَدَّر هذا الكتاب بهذا الباب وبه سُمِّيت هذه الرسالة، وهذا الكتاب ككتاب (فضل الإسلام) سُمِّي الكتاب بعنوان الباب الأول فيه، وهنا أيضًا (فضائل القرآن) سُمِّي بالعنوان الأول. والشيخ – رحمه الله – لا يتكلَّف في تسمية مؤلَّفاته كما هي طريقة أصحاب السجع؛ إنَّما تجدون غالب كتاباته ومؤلفاته للدَّعوة إلى الله؛ ففرقٌ بين من يكتب ليدعو إلى الله ويُعلِّم ويزيل شبهة أو يُبيِّن حكم، وبين من يكتب ليكتب ويؤلف ليقتات من هذه الكتابة أو يتفنَّن أن له في كلِّ فنٍّ إسهام؛ إنَّما هو بحسب ما يتيسَّر له الحال يكتب في ذلك.

وتميزت كتاباته بالمتانة والقوَّة العلمية مع سهولة الطرح، فهي متينة في مادتها، سهلة في طرحها، قوية في حجَّتها. وطريقته في التَّأليف دائمـًا لا يُطيل إنما هي مختصرات؛ بل إنـَّه أتى على الكثير من الكتب المطوَّلة واختصرها وذلك تسهيلا للعلم حتَّى يرجع النَّاس للقراءة ويقرأون الكتب.

قال: **(فضائل القرآن)** الفضائل: جمع فضيلة، والقرآن مُيِّز من سائر الكتب فله فضيلة على كلِّ الكتب وهو مهيمنٌ عليها كلها؛ بل ما في التوراة وما في الإنجيل وما في الزبور كلُّه في القرآن، فهنا ميزةٌ له وفضلٌ له على غيره من الكتب.

وأيضًا فضلٌ لِسُوَرٍ فيه؛ ففيه سور في ذاته مفضَّلة بعضها على بعض، فأتى في تفضيل السُّور أنفسها على بعض، بل منها ما يعدل ثلث القرآن ومنها ما يعدل ربع القرآن، كسورة ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن وهي سورة، وكذلك ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ تعدل ربعه، إذًا هناك من السُّور ما فيها منزلة وميزة، وكما ذكر هنا وسيأتي بيان ذلك في البقرة وآل عمران.

وهناك فضائل لآياتٍ فيه مُيِّزت على غيرها وكله كلام الله، ولكن الله- تبارك و تعالى – ذكر سور على سور وذكر آيات عن آيات؛ فأفضل وأعظم آية في كتاب الله هي: (آية الكرسي) ومُيِّزت، وهذه المميزات التي نالتها السُّور أو الآيات لِمَا فيها من معاني و لِمَا اشتملت عليه من الكثير من الأحكام.

إذا هنا هذا فضلٌ في السُّور، وأيضًا فضلٌ لأهله، أهل القرآن مُيِّزوا على غيرهم، ثم بيَّن هنا في ما هو بصدد البيان عنه: فضائل تلاوة القرآن.

إذًا سيتكلم عن: التلاوة، هذا واحد.

وتعلُّمه، هذا اثنين.

ثلاثة: عن تعليمه.

إذًا هذا الباب سيتناول كم مسألة؟ ثلاثة: التلاوة، والتعلُّم، والتعليم.

إذًا سيتكلَّم عن التِّلاوة، وإذا أردنا أن نتكلَّم عن التِّلاوة فالتِّلاوة لها أحكام، وسأسردها لكم سردًا في تقريبًا عشر نقاط، وهي في مباحث أحكام التلاوة، ولكنَّا سنتناولها في حال التَّالِي للقرآن لأنَّ التلاوة لها آداب، فمن ذلك:

- التَّطهر قبل التلاوة فهو ﴿لا يمسُّه إلَّا المطَّهرون﴾ على تفصيلٍ في ذلك، ولكن أكمل حالات القارئ عند القراءة أن يكون على طهارة.
- أيضًا قبل القراءة السواك؛ فهو «مطهرةٌ للفمِّ مرضاةٌ للرَّبِّ».
- أيضًا الاستعاذة قبل التلاوة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].
- أيضًا اختيار المكان المناسب، وأفضل الأماكن هي المساجد دليل ذلك قوله ﷺ: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله ...».
- أيضًا من آداب التلاوة: التَّرتيل أثناء التلاوة، والله ﷻ يقول: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾[المزمل:٤]، ولذلك بن مسعود ﷺ ماذا يقول؟ يقول ﷺ: (لا تنثروه نثر الدَّقل- الرَّديء من التَّمر-، ولا تهذُّوه هذَّ الشعر، قِفوا عند عجائبه وحرِّكوا به القلوب، ولا يكون همُّ أحدكم آخر السورة)، وهذا تنبيه وتعليم في شأن القارئ للقرآن وأدبه.
- أيضًا أن يقرأ بالتَّدبر، قراءة القرآن بالتَّدبر لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص:٢٩]؛ فأنت مأمورٌ بالتَّدبر لِمَا فيه.
- أيضًا الدُّعاء أثناء القراءة؛ فإذا مرَّ بآيات الرَّحمة وآيات العذاب أو الاستغفارأو غير ذلك فهو يدعو الله ﷻ.
- أيضًا تحسين الصَّوت أثناء القراءة، قال: لو علمت أنك تسمعني لحبَّرته لك تحبيرًا. وسيأتي في مبحث التَّغني وهو بابٌ مستقل.
- أيضًا أن لا يجهر بالصوت إنَّما أن يخافت، أن يقرأ بصوتٍ خافت.
- أيضًا لمن يسمعه الإنصات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف:٢٠٤].

إذًا هناك جملة من الآداب والأحكام فيما يتعلق بتلاوة التالِي للقرآن.

قال: (**وتعلُّمه**) التَّعلُّم للقرآن من أفضل ما صُرفَت فيه الأوقات، تعلُّم القرآن، فالتَّعلُّم لمن لم يعلم والتَّعليم كمال، قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»؛ إذًا الخيرية في مَن تعلَّم وعلَّم، ولا شكَّ أنَّه إذا تعلَّم و لم يُعلِّم له من الخيرية نصيب، ولكن تمام الخيرية عند من يتعلَّم ويُعلِّم وهذا فضل الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[سورة الجمعة:٤]، فالقرآن له ميزة فأهله هُم من الخاصَّة، ولذلك يرفع الله بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين.

المتن: (باب فضائلِ تلاوة القرآن وتعلُّمه وتعليمه وقولِ الله ﷻ: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [المجادلة:١١]).

الشرح: هذه الآية فيها بيَّن أنَّ الرِّفعة لأهل الإيمان، هذا واحد، وميزة هؤلاء أنَّهم أُوتوا العلم فينالون عند الله ﷻ الدَّرجات. والدَّرجة هي المرتبة والمنزلة العالية، فهُم آمنوا بهذا القرآن فنالوا هذه المنزلة، وأهل العلم بالقرآن لهم هذه المنزلة العالية الرفيعة كبيرةٌ كثيرةٌ سواءً في الدنيا أو سواءً في الآخرة؛ ففي الدنيا تمكينٌ ورفعة ومنزلة وذكرٌ حَسَن، وفي الآخرة سلامة من عذاب الله ودخول للجنة. فهذا الكتاب كتابٌ عظيم فيه كلُّ الخير، ومنزلته منزلةٌ عظيمة، سمعته الجنُّ فقالوا: ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴾ [الجن:١]، ومع ذلك فيه الحق وكله حق، ويُخرج الناس من الظلمات إلى النور، هؤلاء الذين أوتوا العلم، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم:١].

ولذلك تعلو مراتب العلم كلما دَنَت من كتاب الله، القرآن، وعلوم القرآن، والسنة، فالوحيين كلُّ علمٍ يدنو منهما يسمو لدنوِّه منها، أو ما يقرِّب إلى فهمها، أو للعمل بما فيها ينال الرفعة والمنزلة لذلك.

المتن: (وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩]).

الشرح: هذه صفات الذين يُعلِّمون، ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ... ﴾، ولذلك القرآن هنا ميزته أن فيه الحكمة؛ فمن أراد الحكمة في غير القرآن ضلَّ، ولذلك النبي ﷺ يقول: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله و سنتي»؛ فمن أراد الهدي في غير الكتاب والسنة ضلَّ إذًا و لم يكن من المهتدين.

فالكتاب: هو القرآن، والحكم والنبوة، والعلم مع الفهم، والنبوة هي المنزلة العظيمة التي يصطفي بها من يشاء سبحانه ﷻ، وقد خُتموا بالمصطفى ﷺ، فهؤلاء يبلِّغون دعوة ربهم، فهؤلاء بلَّغوا أمر الله تبارك

وتعالى . وذكر فيهم عدَّة صفات : أنهم ربَّانيون ، ويعلِّمون بعد أن تعلَّموا : قال تعالى : ﴿ .. وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ فهم هذه صفاتهم .

والربَّاني : هوالذي يبدأ بصغار العلم قبل كباره ، ولذلك إذا وجدت الشَّاب يعتني بكبار المسائل قبل أن يَعِي أصولها الأوَّلية فهذا عنوان مخالفة طريقة أتباع الرُّسل ؛ فأتباع الرُّسل من العلماء الربانيين هم الذين يبدأون بصغار العلم قبل كباره ، وهذا هو الواجب أن يتعلَّم قبل أن يتكلَّم ، وأن يتأصَّل في أصول العلم قبل أن يصل إلى الناس وتلتفت إليه الأعناق وتكون له سامعة ، فربما زلَّت به القدم ويخشَى انتقاد الناس ؛ فهو على غير أصلٍ قد بنَى ما هو عليه .

وفرقٌ بين من بَرز في العلم وبين من أُبرِز للناس وأصبح يُجمع به الناس لكثرة السَّامعة له ، ولذلك انتبه يا طالب العلم أن تغترَّ بشيء من بيانك أو فصاحتك فتنطلق وأنت لا تزال في بدايات العلم ، وأعني بالانطلاق أي : في التعليم والتصدُّر للمسائل التي أنت دون ذلك فيها ، لا تستعجل! لا تستعجل!

عليك أن تتأصَّل في العلم قبل أن تحرص أن تصل للناس ، فإذا تأصَّلت سيصل الناس إليك وسيرجع الناس إليك ، كما هي قصة الصحابي الجليل ابن عباس- رضي الله عنهما- وهي مشهورة عندما كان يتقفَّر العلم عند الصحابة ﷺ و يتلمَّس هنا و هناك ، فإذا بصاحب له يقول : أَوَ تظنُّ أنَّ الناسَ يرجعون إليك مع توافر صحابة رسول الله ﷺ ؟ ولكن تختلف الهمم وما هي إلَّا أزمان فإذا ابن عباس- رضي الله عنهما- حبرٌ من أحبار الأمة وإمام من أئمتها ، وهو مَن دعا له النبي ﷺ : « اللَّهم فقهُّه في الدِّين وعلِّمه التاويل » .

هذه طريقة أهل العلم البداية بتأصيل المسائل .

قال تعالى : ﴿ .. بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ؛ وهنا التعليم .

الكتاب : القرآن .

طالب علم مبرَّز لكن لا يعرف يقرأ القرآن ، إذًا بماذا بدأ ؟

بماذا ابتدأ وهو لا يعرف يقرأ القرآن؟

قراءته للقرآن غير صحيحة ، وهنا مشكلة وهو أنه صُدِّر فأصبح له سامعة ، ولو سمعت قراءته للقرآن لعجبت ، فهو لم يستقم لسانه بقراءة القرآن ، وهذا غلط .

قوِّم لسانك وتعلَّم ، ولا عيب ولو كان على كِبَر سنٍّ ، تعلَّم ليستقم لسانك على القراءة الصحيحة ، وليس في ذلك كما يفعل البعض من التكلُّف إنما هو بما يُذهب عنك به اللَّحن الجلي ، وأما الخفي فبعض الألسن قد لا تستقيم والله- تبارك وتعالى- فضله على من يشاء من عباده ، وجاهد نفسك ليذهب عنك اللحن الجلي والخفي .

قال تعالى: ﴿ .. وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ لا بد قبل أن يتكلَّم يتعلَّم ؛ يتعلَّم حتَّى يتأصَّل ، وهذا هو فضل تعلُّم القرآن وتعليمه ، فهذا هو يأتي بعده الخير كلُّه ، فهو الأصل والآثار تأتي من بعده ، ولا يكفي أنه يتعلَّم ويُعلِّم ؛ لا بُدَّ من العمل ، أن يعمل بالقرآن ، وليس فقط أن يكون صوته بالقرآن حسن ومتقِن من حيث المخارج ولكن ليس من أهل صلاة الفجر ، وليس من أهل الاستقامة ، فإذا سمعت القراءة من أجمل القراءات ، وإذا رأيت الهيئة والصورة فإذا بها لا تختلف عن أحوال الفساق وغيرهم .

فأول مَن يكون عليه الأثر هو صاحب القرآن ، هو أول من يتأثر بهذا الأثر ، وهذا العمل به ، كذلك الاعتقاد لِمَا فيه من أمور التوحيد والأحكام والحلال والحرام ، فربما تجد شخص متقن للقراءة بل يجيد القراءات ولكنه يعكف عند القبر ويستغيث بغير الله وهو حافظ لكتاب الله ، ينكر على من لم يدغم أو يخفي أو يعطي الغنة حقها ولكنه لم يعطِ التوحيد حقَّه ، بل لربما تجده ينكر على الشخص في القراءة ثمَّ يلتفت على القبر ويقول : مدد يا حسين!

فالله المستعان .

إذًا لا بُدَّ أن يكون هذا الأثر من خلال الاعتقاد والإخلاص ؛ حتى لا يكون هذا ممن وُصف أنه لا يتجاوز الحناجر ، أنهم كما قال ﷺ : « يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم » ؛ أي : لايبلغ إلى العقول فيعقلوه ولا إلى القلوب فيؤمنوا به ، إنما هو هذٌّ يقرأونه هكذا .

المتن : (وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السَّفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » أخرجاه) .

الشرح : هذا الحديث رواه البخاري في باب التفسير ، عند تفسير سورة عبس ، بلفظ : « مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظٌ له مع السفرة الكرام البررة » ، وهذا بيان لمنزلة مَن يقرأ وهوحافظ ، وأيضًا في النصوص الأخرى أتت دون ذِكر « حافظ » ، وهنا فيه بيان أن الحافظ له منزلة أعلى ممن ليس هو بحافظ ولكنه متقن للقراءة .

قوله ﷺ : **« والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه »** يعني : يصعب عليه .

قوله ﷺ : **« وهو عليه شاق »** يعني : يجد في ذلك جهد سواءً مشقَّة النطق أو اللُّغة أو إخرج الحروف ؛ يعني يجد في ذلك كلفة ، و يجد في ذلك جهد ، فهذا له أجرين .

ليس معنى أن له أجرين أنه أعلى من الذي مع السَّفرة الكرام البررة ، لا .

حتى بهذين الأجرين لا يبلغ تلك المنزلة ؛ تلك منزلة غير ، لكن هذا أجر التعتعة وأجر المشقة ؛ فهو قرأ وتعتع في ذلك فله فيها أجر ، وله أجر على هذه القراءة ، فهنا نال بذلك أجرين ، وهذا تحفيزٌ له على القراءة ، وهذا في بيان فضل التلاوة و هذا مما يناسب الباب .

المتن: (وللبخاري عن عثمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه ») .

الشرح: هذا حديث عثمان ﷺ، وعائشة – رضي الله عنها– هي زوجة النبي ﷺ، وعثمان ﷺ هو الصحابي الجليل ذو النورين الخليفة الثالث، الذي تستحي منه الملائكة وما استحى منه الخوارج فقتلوه سواء الخوارج المتقدمين أو خوارج العصر، الذين قال أقنومهم: أن خلافة عثمان فجوة في تاريخ الإسلام.

والحقيقة أن هذا من الظلم لهذا الصحابي ﷺ ولكن لمزيد الأجر إليه.

قال رسول الله ﷺ: « خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه » إذًا هنا صفتين:

- الصفة الأولى: أنه تعلَّم.
- والصفة الثانية: أنه علَّم.

والغريب أنك تجد بعض الناس يُعلِّم وهو لم يتعلَّم، هذا لا يمكن، كيف تُعلِّم وأنت لم تتعلَّم؟!

ولذلك تجدون أهل العلم يعتنون في التراجم بذِكر المشايخ أو الشيوخ.

على مَن تلقَّى؟ مَن هُم شيوخه؟

العلم ما يأتي فجأة، أو يطلع لنا فجأة شيخ يُعلِّم.

مَن هو؟ مِن أين؟ ما يتعلَّم.

ولذلك في الأنساب يعتني الناس بمَن ابن مَن، و مَن ليس له أبٌّ الناسُ تنظر له بنظرة دونية ويسمونه بـ: لقيط أو غير ذلك؛ كذلك العلم لا يُقبل فيه اللقيط؛ إنما على مَن تعلَّم؟ مَن هم شيوخك؟ اذكُر لنا آباءك في العلم، مَن هُم؟ على مَن؟.

فإن كان ممن تعلَّم على الكتب سيستفيد ثقافة ومعلومات، ولكن أهل العلم تلقوا عمَّن قبلهم عمَّن قبلهم إلى رسول الله ﷺ، وهذا عنوانٌ للخير كما قال سلمان ﷺ وذكر هذا الدَّارمي في مقدمته يقول: (لا يزال الناس بخير ما أخذ الآخرُ عن الأول، فإذا هلك الأول قبل أن يأخذ الآخر هلك الناس).

فإذن انقطعت سلسلة التلَّقي في العلم.

فهنا قال ﷺ: « خيركم من تعلَّم القرآن و علَّمه ».

« خيركم » أي: من خيار الأمة منزلة، أعلاهم درجات، أفضل من غيرهم، وهذا لا يكون ويكمُل إلَّا بالتعلُّم والتعليم، وهذا لا يستطيعه البطال اللَّعاب ...، اللَّعاب ما يتحمَّل العلم خاصَّةً القرآن؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [سورة المزمل:٥]، ولذلك مجالس القرآن – مجالس العلم– ما كلُّ أحد يستطيع أن يصبر فيها.

وبعض الناس يقول: لماذا دروس المشايخ ما نحصِّل فيها ناس وعندما يأتي بعض الوعَّاظ والخطباء يجي المرور ينظم الحركة وزحمة وسيارات؟! لأن هذا يُحصِّلون عنده ضحك وتهريج، والآن طلعوا من المساجد

وراحوا للخيام والمسارح والأسواق والمولات والمنتزهات ما عَاد يبغُون المساجد وهكذا ، ولذلك العلم في بيوت الله .

المتن : (ولمسلم عن أبي أمامة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ») .

الشرح : إذًا هنا من بعض مميزاته أنه شفيع لأصحابه .

وكذلك هذه الخيرية ؛ أي : خيركم وأفضلكم ، وهذا يشمل : العلم ، والتعلُّم ، والعمل ، والدعوة ، والعمل بما فيه ، والتحاكم إليه ، وجعله منهج حياة كاملة ؛ لأن القرآن إمَّا حُجَّة لك أو حُجَّة عليك ، إمَّاقائدًا لك إلى الجنَّة أو – حمانا الله وإياكم– دافعًا إلى النار ، فهو حُجَّة لك أو حُجَّة عليك ، إن كان حُجَّة لك فهو قائد إلى جنَّة النعيم ، وإن كان حُجَّة على البعيد فهو دافع له إلى جهنم .

قال ﷺ هنا : **«اقرأوا القرآن فإنه يأتي ...»** عموم ما قرَّره علماء السُّنة : أن الإتيان هنا لفضل ثوابه وأجره ، والقرآن كلام الله والذي يدافع ويحاجّ وكما سمعنا في الزهراوين ، هذا كله يتناول الأجر والثواب هو الذي يأتي ، يأتي ثوابه و أجره .

وقد يقول قائل : هل في هذا تأويل؟ لا ؛ هذا ما أقرَّه وأجمع عليه علماء السُّنة ، ولذلك من أجمل مَن بيَّن في هذه المسائل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– عندما تكلَّم على هذه الأمور ، ونحن لسنا في صدد التفصيل فالزمن قصير ولكن نذكر بعض الأمور التي فيها شيء من التأصيل ، وأما مبحث التفصيل فهو في كتب العقائد ، إذًا يأتي يوم القيامة ثوابه وأجره . قوله ﷺ : **« شفيعا لأصحابه »** يعني : أجر القراءة والتلاوة .

المتن : «اقرؤا الزَّهراوين : البقرة وسورة آل عمران ...» .

الشرح : «الزهراوين» : لأنها نور لأصحابها وهداية فهي تقودهم في ذلك ، وأيضًا فيه بيان أن هذه الفضيلة ليست فقط فيما يتعلق بالأجر بل إن هذا الأجر يأتي كما ذكر أبو داود : باب ثواب قراءة القرآن ، بوَّب بهذا الباب ثم ذكر ذلك .

ويقول معاوية وهو أحد رواة الحديث – لـمَّا تكلم عن بعض ما يتعلق ببعض ثماره – « **البطلة** » قال : بلغني أن البطلة هم السَّحرة . و يأتي تفصيلها .

المتن : « ... فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجَّان عن أصحابهما ، اقرؤا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حَسرة ، ولا تستطيعها البَطَلة » .

الشرح : إذًا هنا فصَّل أيضًا قال ﷺ : **« فإنهما تأتيان »** إذن هذا الأجر المترتب في ذلك ، فهنا مُثِّل بهاتين السورتين ففيها أوصاف عظيمة وأحكام جليلة ، والمعنى كما تقدَّم .

فوالله قد كُفِي من كان ثواب القرآن حجيج عنه ، ومتكلم عنه ومحامي له ، ويدافع عنه عند الله – تبارك وتعالى– ، فهو المتكلم ، عند مَن؟ عند كريم عزيز عظيم غني جواد ، فهذا الثواب العظيم حجيج له ، وهذا فيه إثبات ثواب القرآن أنه حجيج للإنسان .

« كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان »: وهذا من التغطية عليه وتظليله .

« أو كأنهما فرقان من طير صوافّ تحاجّان عن أصحابهما »: يعني أن من يقرأ سورة البقرة وآل عمران ، وهذا مجيء الثواب للمحاجَّة ، وهنا تخصيص لهاتين السورتين لِمَا فيهما من الفضل ، وسورة البقرة معروف أنها فسطاط القرآن ؛ أي: الشيء المحيط ، و هي سنامه . والبيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة قال ﷺ : **« لا تستطيعها البطلة »** ، ومعاوية وهو من أحد الرواة للحديث ، يقول: هم السحرة .

وقراءة القرآن بخلاف التسجيل ؛ فالمعنِي هنا بـ: الذي يقرأ القرآن ؛ الذي يقرأ هو شخص يباشر ذلك ، و هذا ذكره شيخنا– رحمة الله عليه– الشيخ ابن باز لـمَّا علَّق على هذا ، ولـمَّا تكلم عن **« البطلة »** قال: لا يعني فقط السَّحرة بل كل مُبطل ، قال: فيدخل فيه السَّحرة وغيرهم .

« لا يستطيعها البطلة »: ليس فقط السَّحرة بل هم كل مبطل .

قوله ﷺ: **« فإنّ أخذها بركة »**: واحد .

« وتركها حسرة »: اثنين .

« ولا تستطيعها البطلة »: ثلاثة .

إذًا كم ميزة؟ ثلاث ميزات .

المتن: (وله عن النواس بن سمعان ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « يؤتَى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران ») .

الشرح: أي هي المتقدمة .

قوله ﷺ: **« وأهله الذين كانوا يعملون به »** أي: أهل تلاوته والعمل به .

« الذين كانوا يعملون به » يعني المحكِّمين لأوامره ، المنتهين عن نواهيه ، المستقيمين على ما فيه ، ولا يلزم من هذا الحفظ ، لا ؛ إنما قال ﷺ: **« أهله الذين كانوا يعملون »** .

كم من حافظ لا يعمل؟!

وضربت لكم أمثلة أم لا ؟ ضربت لكم أمثلة بأناس يحفظون ويلتفت ويقول: مدد يا سيد! مدد يا فلان!

ماذا ينفعه حفظه؟!

إذًا هنا قال ﷺ: **« وأهله الذين كانوا يعملون به »** لاحظتم الميزة .

فكيف بمن جمع ما بين الحفظ والعمل؟ هذا لا شكَّ نور على نور .

طيب ، من لم يحفظ ولكنه ممن أدمن القراءة ووافق العمل ، هذا ايضًا يليه .

لكن مَن قراءته مثلا أقل ولكنه يعمل به .

إذًا الأمر يدور على ماذا ؟ على العمل .

الأمر يدور على العمل ، نسأل الله أن يجعلنا و إياكم كذلك .

المتن : (« وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد ، قال : « كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما ») .

الشرح : هنا ضرب له أمثلة : **« غمامتان »** ذكرناها لكم .

« أو ظلتان سوداوان » أي : في قوة الحجم لدفع الشر عنه أو ما يؤذيه .

« بينهما شرق » يعني : هنا الضياء والنور ، ولذلك منه الإشراق ، مشارق الأنوار .

« أو كأنهما حَزَقان من طير صواف » يعني : الجماعة من كل شيء .

« تحاجّان عن صاحبهما » يعني : يأتي صاحب القرآن ومعه ماذا؟ أشياء محيطة به .

لاحظ الموكب عندما يأتي ، ألا تلاحظ أشياء تحف به ؟ وأشياء محيطة به ؟

وكذلك صاحب البقرة وآل عمران يأتي وهو محاط بماذا ؟ بهذا الثواب العظيم وهذا الأجر : **« كأنهما غمامتان ، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق ، أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجّان عن صاحبهما »** فتجد يعني يأتي ومعه حفاوة وتبجيل ، هذا الأجر العظيم المحيط به من كل جانب ، ومع ذلك هذا الأمر المحيط به يحاجّ عنه ، أي عن صاحب القرآن .

الله! الله! أكثروا من قراءة البقرة وآل عمران ، وهنيئا لمن كان حافظًا لها عاملا بما فيها ، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم ذلك .

المتن : (وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف و لام حرف و ميم حرف » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح) .

الشرح : يعني الأجر مناط بكلِّ حرف ، ليس بكلِّ كلمة أو بكلِّ آية أو بكلِّ سورة ؛ لا .

إنما بكلِّ حرف من كلِّ كلمة ، ثم فصَّل حتى يدرك الإنسان أن الأجر يشمل هذا كله ، أي : الثواب ، قال ﷺ : « لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » .

وهذا في فضل ماذا ؟ في فضل التلاوة ، لا نزال في الباب : فضل تلاوته وتعلُّمه وتعليمه .

المتن : (وله وصحَّحه عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال : « يُقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها ») .

الشرح : إذًا هنا انظُر العلاقة ما بين الآخرة والدنيا ، وهذا يُبيِّن لك أثر الأعمال في الإيمان وفي الثواب وفي الجزاء عند الله تبارك و تعالى .

« ... ورتل كما كنت ترتل في الدنيا » رتل القرآن أي: أنت مأمورٌ بالترتيل، وذكرنا هذا في آداب التلاوة. قوله ﷺ: « اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا » وهذا ليس للحافظ فقط؛ حتى القاريء لأن هنا قال ﷺ: « اقرأ وارتق ورتل » فهو يقرأ و يرتل.

« اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها » يعني: صاحب القراءة للقرآن له منزله عند الله ﷻ وليس هذه المنزلة للحافظ فقط، لا؛ مِن الناس مَن يختم كل ثلاثة أيام وما هو بحافظ، يختم كل أسبوع، يختم كل شهر، وفي ناس ما يعرف القرآن إلا في رمضان، وفي ناس ما تعرف القرآن إلا يوم الجمعة، ولا تعرف في يوم الجمعة إلَّا سورة الكهف.

وهناك أمر محدث إني أخاف من عواقبه وهوأن هناك مَن بدأ يُفرد سورة الكهف ويوزعها في المساجد؛ فترك الناس القرآن وأقبلوا على هذا الذي فيه فقط سورة الكهف، وهذا أمرٌ في الحقيقة بقدر ما نحن فرحون بأن الناس يهتمُّون بقراءة سورة الكهف يوم الجمعة عِلمًا بأنَّ الحديث الوارد فيها فيه نظر وفيه ضعف، ويضعفه شيخنا الشيخ ابن باز- رحمه الله -، وهناك بعض أهل العلم يحسِّنه، والذي يظهر أنه حسن، إلا أن الذي يُحزن أن الناس تركوا القرآن وأقبلوا على هذا المستخرج الذي استُل من القرآن وفيه سورة الكهف، فيُنتبه لهذا. لا أستطيع أن أقول في ذلك حُكم؛ الحكم لأهل الفتوى، ولكن أمُر في النَّفس منه شيء.

المتن: (ولأحمد نحوه من حديث أبي سعيد وفيه: « فيقرأ ويصعد بكلِّ آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه »).

الشرح: هذا أين؟ في الجنة عند الله - تبارك وتعالى-، وكذلك درجات الدنيا فهو في رِفعة؛ فيرفع الله بهذا الكتاب أقوام ويضع به آخرين، فهو رِفعة في الدنيا.

قوله ﷺ: « ...حتى يقرأ آخر شيء معه » قيل هذا في حفظه، أي: فيمن يحفظ.

قوله ﷺ: « معه » أي: ما معه من الحفظ.

المتن: (ولأحمد نحوه من حديث أبي سعيد وفيه: « فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه ». ولأحمد أيضًا عن بريدة مرفوعًا: « تعلَّموا سورة البقرة » فذكر مثل ما تقدَّم في الصَّحيح في البقرة وآل عمران).

الشرح: طبعا حديث « لا أقول (الم) حرف ... » رواه الترمذي عندكم، وأيضًا صحَّحه الشيخ الألباني- رحمه الله- في السلسلة الصحيحة. قال ﷺ: « فيقرأ ويصعد بكل آية درجة... » أي: عند الله في الجنة، وهذا يدلُّ على فضل وأجر قراءة القرآن أنها مستمرة حتى وهو في الجنة، أي بعد دخوله في الجنة يصعد في ذلك ويرفع في ذلك درجات ومنازل؛ ففضله مستمر لعظم أجره.

وقوله ﷺ: « تعلَّموا سورة البقرة » أي: لِمَا فيها من الفضل.

المتن: (فذكر مثل ما تقدَّم في الصَّحيح في البقرة وآل عمران ، وفيه: «وإن القرآن يلقَى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره ...») .

الشرح: هنا في الرواية في الأصل «**وإن القرآن يلقَى صاحبه يوم القيامة ...**» لكن أن القرآن يجيء ، وهي على هكذا: «**يجيء القرآن لصاحبه يوم القيامة حين ينشق عن قبره ...**» .

المتن: « ... وإن القرآن يلقَى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرَّجُل الشَّاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك . فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك . » .

الشرح: «**الشاحب**» أي: الخائف ، الهزل ، المريض ، المتأثر وجهه بتراب الغبرة ، شاحب ، غبار القبر ، وهذا كما تقدم في فضله .

المتن: «فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر ...» .

الشرح: إذًا المتكلِّم هنا هو الثواب ، يأتي الثواب ويلقاه وينطق .والله ﷻ يُنطق كل شيء ؛ قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥] ، يُنطق الحجر ، ويُنطق الشجر ، قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [سورة الزلزلة: ٤] ، فيُنطق الله – تبارك وتعالى– الثواب فيتكلم الثواب ويتكلم الأجر ، ويأتي على شكل هيئة كما ذكر ذلك في كثير من الأعمال والأحكام ؛ تأتي صِلة الرحم فتقول: أنا الصلة . وتأتي كذا ... ، أحاديث كثيرة تأتي وُصِف أنها تحاجّ عن صاحبها أو العامل بها كصلة الرحم ، وتأتي الصدقة تحاجّ ، ويأتي أجر القرآن فيحاجّ ، هكذا يأتي الصيام ويحاجّ ، كلُّ ما أتى في هذا المعنِي به ماذا ؟ ثوابه وأجره .

المتن: «فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك ...» .

الشرح: هنا في رواية أخرى بدل: «**فيقول له**» ورد بلفظ: «**فيقول لصاحبه**» بعد كلمة الشاحب «**فيقول لصاحبه هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك .**» ؛ لأنه ما سبق أنه قابل أجره ، أجر القراءة ، ما يعرفه؟ .

المتن: «فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك ...» .

الشرح: أسهر ليله لأنه صاحب قيام ليل ، أظمأ نهاره لِما فيه من القيام على ما في القرآن من أمور ؛ فهو عَمِل به ، وهنا العمل بما فيه . فقال ﷺ: «**و أهله الذين كانوا يعملون به**» فهذا في الهواجر ، و في الليل القيام .

المتن: «وإن كلَّ تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ...» .

الشرح: إذًا الأجر والربح هذا هو الذي جعل التاجر لا يلتفت إلى التَّعب والنَّصب ، ولذلك إذا أتاه الربح نسي كلَّ شيء نَصَبه وتعبه ؛ لأنه وجد أثر ذلك ، فهكذا الثواب هو أجر ماذا ؟ أجر التلاوة ، فهذه

هي ثمرته وهذه ربحيته ، أنه يأتي وهو وراء هذه التجارة ، وهذه التجارة التي لن تبور ، نسأل الله أن يجعلنا و إياكم من أهلها .

المتن : « فيعطى المُلك بيمينه والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويُكسا والداه حلتين . . . » .

الشرح : لا إله إلا الله ، إذًا انظروا :

يعطى مُلك ، واحد .

وخلد ، أي : في الجنة .

وتاج ، هذه ثلاثة .

وماذا ؟ ويكسى والداه ، هذه أربعة .

المتن : « ويُكسا والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا . . . » .

الشرح : يعني لا يقوِّمها شيء في الدنيا في قيمتها ولا منزلتها مهما كان ، لا يوجد مثلها ولا ينافسها ولا مماثل لها .

المتن : « ويُكسا والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان : بِمَ كُسينا هذه؟ فيُقال : بأخذ ولدكما القرآن » .

الشرح : لأن هم الذين علَّموه ، علَّموه القرآن ، أسَّسوه ، ثم ذهب الابن وانطلق وأصبح من أهل القرآن ، وهذا إذا كان ممن أقام به ليله ، وأيضًا لا يلزم من هذا الحفظ الكامل كما تقدم ، إنما يكفي أنه من أهل القرآن من أهل العناية بالتلاوة لينال هذا الفضل ، ثم هو واصَل ، أبواه قوَّماه في البداية وعلَّماه ، فلما قوَّماه وعلَّماه هو واصَل ، ثم استمر سواء في مجالس العلم أو في الحلقات التي تُعقد في المساجد لتعليم القرآن أو في دور القرآن أو ما إلى ذلك ، بالنسبة لما يتعلق بهذا الابن فقد علَّمه وأسَّسه أبوه ، مات الأب وبقي الابن على التأسيس الأول ، لا يزال ذلك الخير والأجر يستمر لذلك الأب ، فأبواه . . . يعني الأجر للأبوان ،قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . . . » الحديث ، إذًا هنا أبواه علماه وقوَّماه ، أخذوه إلى المساجد ، إلى تعليم القرآن .

وهنا أنبه أن دُور التحفيظ وأماكن التحفيظ من أفضل ما يكون ، وينبغي أن ندفع بأبناءنا إليهم ، ولكن نحذر من القائمين عليها ألا يكونوا من أصحاب الأفكار المنحرفة يصطادون بتعليم القرآن الناس ؛ فالخوارج يصطادون الناس بالقرآن ويـحرِفُونه باسم تعليم القرآن وتعلُّم القرآن ، بل لـمَّا ذكر وصفهم ابن عباس- رضي الله عنهما- قال : أتيت قوم لهم بالقرآن دَويّ بالقرآن كدويّ النحل .

هم أهل عناية في تلاوته ولكن كما قال النبي ﷺ: «تحقرون قراءتكم إلى قراءتهم»، وكما قال أيضًا: «يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم»، فهم أهل عناية بقراءته وليسوا أهل عناية بفهمه والعمل بما فيه والاستقامة على توجيهاته.

هذا الحديث ذكره الشيخ ناصر الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة وصحَّح هذا الحديث برقم: (٢٨٢٩).

المتن: «ثم يُقال له: اقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلا».

الشرح: نعم، يعني: سواءً على عَجَل أو سواءً على قراءته فيه؛ لأن مراتب القراءة تختلف:

- هناك التحقيق: وهذا يكون في التعليم.
- وهناك الترتيل: وهو ما يكون بتؤدة واطمئنان.
- وهناك ما يسمونه بـ التدوير: وهو بين الترتيل والحدر.
- وهناك الهذّ: وهوالقراءة السريعة مع مراعاة أصول الأحكام في مخارج الحروف، قراءة سريعة ولكنها متقنة ليس فيه إخلال ولا .... .

هذا بالنسبة لِمَا يتعلَّق بهذه المنازل التي يرتقي فيها، وربما بعضهم يقول أن الجنة مائة درجة، وهنا يرتفع درجة هي من الدرجة على ذِكرها، ولكن الدرجة درجات كما يقول النبي ﷺ: «هم درجات كالكوكب الدُّري يتراءون...» يعني الدرجة ما بينها وبين الأخرى كما بين الأرض والكوكب الدُّري، وما بين الأرض والكوكب الدُّري مفازات ومسافات، وفيها أيضًا منازل ففي الدرجة أناس أعلى وأدنى في نفس الدرجة، والدرجات كذلك فهي درجات كثيرة، نسأل الله أن يبلِّغنا وإيَّاكم أعلاها وهي الفردوس الأعلى، سقفها عرش الرحمن.

المتن: (وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» رواه أحمد والنسائي).

الشرح: رواه أحمد والنسائي.

قوله ﷺ: «**أهل القرآن**» أي: من أشغل نفسه بالقرآن، وأشغل وقته بالقرآن، انشغل به عن الناس، في ليله ونهاره، فجُلُّ وقته وخيار وقته في قراءة القرآن، لا يجعله للناس، فهذا في عرصات القيامة ممن تأتي عليه «**غمامتان**» وتكون أيضًا «**غيايتان**» و تكون أيضًا «**أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجَّان عن صاحبهما**» أي: تكون عليه ظُلَّة ووقاية، ويكون له كالموكب المحيط له يدافع عنه ويحاجّ عنه يوم القيامة، وهذه هي في عرصات يوم القيامة، فهذه التجارة الحقيقية، تجارة لا تنفد ولا تبور، هؤلاء هم أهل التجارة الحقيقية، وأما تجارة المال فهي إن أَكثَر منه فحساب، وزيادته زيادة،

والمال من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ فمهما غَنِم فهو يُسأل عن هذا المال، فيما؟ وأين؟ من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟

المتن: (باب ما جاء في تقديم أهل القرآن وإكرامهم) .

الشرح: إذا هذا الباب يتعلق في مسألتين:

مسألة التقديم، ومسالة الإكرام، لمن؟ لأهل القرآن.

وهنا لهم عدَّة أمور سواءً كانت في الدنيا أو سواءً كانت في الآخرة؛ فهم أهل الأولوية، وهم أهل التقديم، وهم أهل المنزلة في جميع مراحل الحياة سواءً كان بين الناس في الدنيا، أو سواءً كان في البرزخ، أو سواءً كان يوم القيامة، أو سواءً كان في منازل أهل الجنة في الجنة.

فبالنسبة لما يتعلق في تقديمهم في الدنيا: هم مقدَّمون لمنزلتهم فأهل القرآن لهم الحظوة، لهم المجالس، لهم صدرها، فهم مَن فيهم الرأي، وفيهم الإمامة والإمارة، وكذلك هم يقدَّمون في أفضل وأحب الأعمال عند الله ﷻ وهي الصلاة؛ هم الأئمة، أئمة المساجد، هم الذين يقدَّمون فيقدم صاحب القرآن.

وكذلك في البرزخ؛ حتى عند التقديم في القبر والدَّفن إذا تزاحم الناس فيُقدَّم صاحب القرآن، حتى في صلاة الجنازة عندما يُصلى في الجنازة يقدَّم صاحب القرآن في الصفِّ على غيره، وهكذا فهو مقدَّم إلى أن يكون في الجنة «اقرأ وارتق...».

وهو أيضًا صاحب منزلة فهم أهل الله وخاصته، هم أهل القرآن، هم أهل التيجان، هم أهل المنازل العلى التي يغبطها عليهم أناس كثير ما بلغوا منازلهم، نسأل الله أن يوفقنا و إياكم وأن يجعلنا معهم.

المتن: (وكان القرَّاء أصحاب مجلس عمر ﷺ كهولا كانوا أو شبابـًا) .

الشرح: هذا اللفظ في البخاري: **(كان القرَّاء أصحاب مجلس عمر ﷺ ومشاورته)**، أضيفوا عبارة: **(ومشاورته)** في البخاري، معناه هم الجلساء الخاصِّين لعمر بن الخطاب ﷺ فهم أهل الحظوة عنده وأهل المجلس.

المتن: (عن أبي مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسُّنَّـة، فإن كانوا في السُّنَّـة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنًّا »، وفي رواية: « سِلْما، ولا يؤمنَّ الرَّجلُ الرَّجلَ في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلَّا بإذنه » رواه مسلم) .

الشرح: إذًا هنا بيان في مراتب الأولوية في تقديم الإمام، مَن الإمام الذي يُقدَّم؟

هنا ذَكرأمور: صفة القراءة، والسُّنَّـة، والاستقامة، والعلم، والكِبَر في السن، والإسلام.

قال ﷺ: **« يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله »** هذا أعلمهم بالقرآن وهذه منزلة له الأولوية فيها.

« فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسُّنَّـة » يعني: فقيه.

«فإن كانوا في السُّنَّـــة سواء فأقدمهم هجرة» سواء الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام كما هي المشهورة من مكة إلى المدينة في عهد النبي ﷺ، وبعد الفتح انقطعت تلك وبقي هجرة المعاصي أو التوبة أو الاستقامة أو من استقام أوَّل أو هكذا، فالاستقامة مثل ما يقول العامة يعني مطوِّعين قبله أو ملتزمين قبله، هذه تؤخذ في الحسبان، إن كانوا على علم بالقرآن وعلم بالسنة؛ مَن الذي استقام قبل؟ هذه لها منزلة فهو أقدم منهم استقامة وهجرة للمعاصي والمنكرات.

«فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنًّا» تأتي مسألة السنِّ و الكِبَر، مَن الأكبر فيهم؟

وفي رواية: «سِلْمـًا» يعني: مَن الذي أسلم قبل؟ هذا إذا كانوا مثلا كفار، في بلاد كفار ومنهم من أسلم قبل الثاني فيقدم «فأقدمهم سِلْمـًا» يعني: أسلم قبله. هذه كلها في مميزات الأولوية في الإمامة، وهذا تقديم أهل القرآن وإكرامهم.

الشاهد هنا أنه ﷺ صَدَّر أول شيء: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله» يعني: حفظًا وقراءةً.

ثم ذكر بعض الأمور تتعلق في مسائل أخرى: «لا يؤمنَّ الرَّجلُ الرَّجلَ في سلطانه» سواءً سلطان الحكم أو سلطان المُلك في البيت لأنه هو صاحب المُلك فيه، صاحب المُلك يملك بيته ويملك شأنه، فلا يؤم الرجل في سلطانه سواءً سلطان الحكم أو سلطان المُلك في البيت، في مزرعته، في بيته، في مكانه، هو الأولى بالإمامة إلا أنه يتنازل في هذا لمن هو أعلم منه، لكنه لو أنه صلَّى في بيته وخلفه مَن خلفه ممَّن هو فيه الصفات المذكورة هذه كلها تتقدم هذه المنزلة لأنه يصلي في ماذا؟ لأنه في سلطانه، في بيته، في ملكه.

«ولا يقعد على تكرمته»، و على كلٍّ هذه مسائل ليست هي في صميم ما نحن بصدد بيانه إنما هي مباحث أخرى ومسائل أخرى.

المتن: (وللبخاري عن جابر- رضي الله عنهما- أنه ﷺ كان يجمع بين الرَّجلين من قتلى أُحد في ثوب واحد ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن» فإذا أُشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللَّحد).

الشرح: هذا في منزلة أهل القرآن وإكرامهم في الدَّفن، بل حتى في الصلاة على الجنازة يُقدَّم الأكثر حفظا للقرآن والأقرأ. وهذا الحديث في مسألة الصلاة و التقديم، كلها مسألتين.

المتن: (وعن أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان» حديث حسن رواه أبو داود).

الشرح: هذا الحديث حسَّنه الألباني- رحمه الله - في المشكاة.

قال ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم» أي: هنا تكريم منه سبحانه ﷻ لذي الشيبة، وهذا وجه لمن لا يرى تغيير الشيب فيُعرف بشَيبه، وإن كان هناك نصوص بتغيير الشيب.

ثم قال ﷺ: «وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه»:

قوله ﷺ: «الغالي فيه» أي: يترفَّع به على الآخرين والناس فيغلو فيه.

فصاحب القرآن لا يكون غالٍ ولا جافٍ ؛ لأن الاستقامة أن لا يكون غالٍ ولا جافٍ ، بل يكون متوسط في أمره ، فهو محكِّم لأوامره ونواهيه ، والغالي هو يُنزِل الأحكام على غير منازلها فتجده غلا في القرآن ، وربما اعتقد في ذات القرآن فجعله في السيارة ، جعله في البيت ، جعله كرُقية ، جعله تعويذة ، جعله ... ، هذا غلا فيه ، أو تجد أنه وصل في ذلك إلى أن يتبرَّك و يغلو ويعتقد في ذات المصحف ، هذا من الغلو .

أما قوله ﷺ : « **والجافي عنه** » يعني : تارك العمل ، وذكر ابن القيم – رحمه الله– من هجران القرآن : هجران العمل به ، والتحاكم إليه ، والتشافي به ، والتداوي به ، ذكر ألوان وصفات من الجافين فيه .

قال ﷺ : « **وإكرام ذي السلطان المقسط** » أضيفوا هذه الكلمة : « **المقسط** » فهي في الرواية ، والمقصود بإكرامه يعني : النصيحة له الواجبة ، للحاكم المسلم في بيان الأمر ، وهذا لا تفعله الخوارج ؛ فهم غَلَو في القرآن وجَفَو فيه ؛ غَلَو فيه : فنزَّلوه على المسلمين ، وجَفَو فيه : فلم يمتثلوا لِمَا فيه وهم أهل قراءة له ، فأعظم وصف للخوارج هذا هو ، فهم جمعوا ما بين الغلو والجفاء ، فليسوا هم من حملة القرآن وإن كانوا من حفظته ، الخوارج ليسوا من حملته وإن كانوا من حفظته كما قال ابن عباس– رضي الله عنهما – : أتيت لقومٍ لهم بالقرآن دويٌّ كدويِّ النحل . والنبي ﷺ يقول : « يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم » .

عبد الرحمن بن ملجم حافظٌ لكتاب الله وهو قاتل علي ﷺ ، وهو حافظ لكتاب الله ، و لـمَّا أرسله عمر ﷺ إلى عمرو بن العاص ﷺ قال له : أرسلت لك برَجلٍ آثرت لك به على نفسي ، اجعل له دارًا يُعلِّم الناس القرآن . ولكن هو ممن غلا وجفا ، فغلا فيه وجفا .

أسأل الله – تبارك وتعالى– أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح .

المتن : قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – : (باب وجوب تعلُّم القرآن وتفهُّمه واستماعه والتغليظ على من ترك ذلك ، وقول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء:٤٦]) .

الشرح : قال : **(باب وجوب تعلُّم القرآن ، وتفهُّمه ، واستماعه ، والتغليظ على من ترك ذلك)** إذًا هنا واحد : **(التعلُّم)** يعني : التعلُّم واجب .

أيضًا **(وتفهُّمه)** هذا اثنين .

(واستماعه) هذا كم؟ ثلاثة أمور .

الرابع ، قال : **(والتغليظ على من ترك ذلك)** ؛ لأن تارك الواجب يأثم .

هل يجب على المسلم أنه يتعلَّم القرآن؟ نعم ؛ لا تصح صلاته إلا بذلك ، قراءة الفاتحة لا تصح صلاته إل أن يتعلمها ، وفي الحديث : « من لم يقرأ بفاتحة الكتاب فصلاته خِداج » ، إذًا يجب عليه التعلُّم .

هنا المؤلف – رحمه الله – لم يُورد شيء في وجوب التعلُّم والتفهُّم والاستماع من الآيات ، إنما صدَّر ذلك بماذا ؟ بالتغليظ اكتفاءً بما سبق ؛ لأنه مرَّ معنا في الأبواب السابقة فضل مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه ، ومرَّ التدبر فيه ، ومرَّ معنا في فضل قراءته ، فهنا كأنما يريد أن يُبين بهذه الترجمة للباب (والتغليظ على من ترك ذلك) أن مفهوم المخالفة : الأمر بعدم الوقوع في خلافه ؛ يعني انتبه لا تقع في أن تكون ممن قلوبهم في أكنة ، ولا تكن ممن لا يفقهون ، ولا تكن ... ، مفهوم المخالفة أي : كن ممن هم على تدبر ، أي على فهم .

قوله : (**والتغليظ على من ترك ذلك**) لأن هذا فيه شبه بالمعاندين لِـمَا أمر الله – تبارك وتعالى– به ، ثم صدَّر ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ معنى قوله تعالى : ﴿ أَكِنَّةً ﴾ الكِن : هو ما يغطي ، أي : ما يُجعل على الشيء فيغطيه تغطية . فهؤلاء لا يفهمون ، ولا يَعُون ، ولا يعقلون ، فلا يسترشدون ولا يفهمون الخير ولا به يعملون ، ولا يسترشدون ولا يهتدون ، لماذا؟ لأن ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ غُطِّيت .

﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ : والفقه في الشيء هو ماذا ؟ هو الفهم ، الفقه يُعنَى به الفهم .

﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ : ما هو الوَقر؟ أي : من الصُّمّ . أي : أصم وهذا من الثِّقل ، أن يكون سمعه به صمم وثقل ، ولذلك لـمَّا يأتون يوم القيامة ماذا يقولون : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سورة الملك: ١٠، ١١] .

هل معناه أنهم لا يستطيعون السمع؟ ليس هذا معناه ؛ إنما معناه أن السمع الذي به يهتدون ويسترشدون لم يمارسوه ، وإلَّا حاسَّة السمع للأصوات عندهم موجودة ولكن السمع الذي لا يكون لصاحبه مُعين في الفهم والاسترشاد فهذا مما لا ينفعه يوم القيامة ؛ لأنهم يقولون : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ... ﴾ يعني سمع استرشاد واستعقال للمعاني ولكنهم بعيدون عن ذلك ، وقد نُهينا أن نصحب أمثال هؤلاء ؛ هذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ يعني : احذر ممن هذه صفاتهم ، احذر ممَّن هذه أوصافهم الذين أصابهم هذا الجزاء ؛ لأنهم لم يفقهوه بسبب أنها صُمَّت أسماعهم لِئلا يفقهوه ، هم يسمعون القرآن ويسمعون آيات الله لكن لا تزيدهم إلا ما هم فيه .

المتن: (وقال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الأنفال:٢٢]) .

الشرح: إذًا هنا أيضًا وصفٌ آخر أنهم أشرُّ من الدَّوابِّ العجماوات التي لا تعي ولا تفهم ولا تعقل، هم أشرُّ منها لأنهم عندهم حاسَّة السَّمع وحاسة الإدراك والعقل والفهم ولكن لم يسخِّروها فيما يجبُ عليهم فصاروا شرًّا من الأنعام، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [سورة الأعراف:١٧٩]، ولذلك هذا حال الغافل اللَّاهي المُعرض، ونُهينا عن صحبة مثل هؤلاء، وهناك آية في كتاب الله من تحضره منكم؟ وهي في سورة الكهف قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[سورة الكهف:٢٨]، إذًا هذا انتبه منه لأنه ممن أُغفِل قلبه، ونعوذ بالله من الختم على القلوب؛ لأن الإنسان إذا خُتم على قلبه ضَلَّ، فهؤلاء وأمثالهم نُهينا عن صحبتهم.

ونعمة السمع والبصر امتنَّ الله على عباده فقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة الملك:٢٣] فهي نعم متَّع الله بها عباده فإذا لم يسخروها في طاعته ﷻ فهي تصبح حُجج عليهم- نسأل الله السلامة- و هنا نجد أن هؤلاء أصبحوا شرًّا من البهائم.

المتن: (وقوله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [سورة طه:١٢٤]) .

الشرح: وماذا قال الله ﷻ قبلها؟ قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [سورة طه: ١٢٣-١٢٧] سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم، جزاء؛ ولذلك انتبه يا عبد الله أن تكون مُعرض عن ما في كتاب الله ومن التدبر فيه والاستقامة عليه، فهذا جزاء المُعرض، لكن قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن اتبع الهدى، ونسأل الله أن يكفينا و إياكم شر الضلالة والشقاء.

وهذه منح وعطايا من الله – تبارك وتعالى- قد تُسلب من العبد إذا استمر في معصية الله، وفي مخالفة أوامره واتباع هواه وشهوته، ولذلك كما ذكرنا قبل قليل في حال من نُهينا عن صحبتهم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ

مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [سورة الكهف:٢٨] ، فتجد غالبا ما يُصيب المُعرض غَلبة الهوىٰ فيصبح يحكِّم هواه في الأدلة ، ولا يجعل رغبته ومراده وفق الأدلة ، إنما يجعل الأدلة وِفق هواه وِفق شهوته ، فيتلاعب في فهم النصوص و يُزيِّن لنفسه ، حمانا الله و إياكم شرَّ كيد الشيطان .

المتن : (عن أبي موسىٰ ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً و لم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به » أخرجاه) .

الشرح : هنا النبي ﷺ ضرب أمثلة بهذا الهدىٰ والخير وهو الوحي ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[سورة النجم:٣،٤] ، وقال النبي ﷺ : « أَلَا إني أوتيت القرآن ومثله معه » ، فهنا النبي ﷺ يبين أن **« مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم ... »** و هو القرآن و السنة ، وهذا مراد المصنف- رحمه الله – في إيراده لهذا الحديث من خلال ترجمة الباب **(... وتفهُّمه ، واستماعه)** كأنما يريد أن يبين أحوال الناس مع ما أتىٰ به النبي ﷺ ، وهم ثلاثة أصناف :

- الصنف الأول : تعلَّم العلم وفَقُه .

يعني : تحمَّل هذا العلم وأدَّاه ؛ فَقُهَه وأدَّاه بمعناه وتفقَّه فيه .

- النوع الثاني : تحمَّل هذا العلم ولكن ليس هو من أهل الفقه فيه .
- النوع الثالث : لم يتحمَّل هذا العلم في نقله و لم يكن من أهل فهمه ، فلا هو من حيث الرواية ولا من حيث الدراية .

فأما الأول فهو قد أتقن من حيث الرواية ومن حيث الدراية ، وأما الثاني فهو من الرواية وليس من حيث الدراية والفهم ، فهذه ثلاثة أصناف .

المتن : (عن أبي موسىٰ ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا و لم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به » أخرجاه) .

الشرح: فإذًا هنا هذه ثلاثة أصناف ، والنبي ﷺ لا يتكلَّف في ضرب الأمثال ؛ إنما في الأشياء المفهومة المدركة ، يعرف معنى الأرض الأجادب ويعرف أيضًا معنى القيعان فهو ليس بحاجة لمقدمة أن تشرح له ما معنى القيعان؟ ما معنى الأجادب؟ ما معنى النقية؟ إنما عنده مُتَصوَّر مخزون في الذهن يعرف هذه المعاني ، فضرب النبي ﷺ على هذه المعاني المعهودة المعلومة للناس أمثلة لأنه يسهل من خلال ذلك إدراك ماذا يريد النبي ﷺ منهم من خلال ضرب الأمثلة بهذا الشيء؟

فأحيانًا لا يُراد المثال لذاته إنما يُفهم منه أشياء أخرى يدرك بها معاني كثيرة لم يُردها المتكلم ، لكن بذكره للمثل تصبح متصوَّرة حاضرة في ذهن المتلقين ؛ فهنا ضرب لهم مثال بالأرض النقية يعني الأرض الصلبة ، التربة الممسكة للماء المنبتة للكلأ ؛ فهم أهل زرع وأهل بادية ويعرفون آثار هذه النوعية من الأراضي عندما ينزل عليها المطر ، ينزل عليها المطر فتمسك الماء وتنبت ، يعني أرض طيبة ، وعادةً ما تكون مرابع للناس ، محلٌّ الربيع ، فهي أمسكت الماء ، يعينون الناس فيها ماء ، باقي فيها ماء ، لو يحفروا يجدوا فيها ماء ، وأيضًا فيها عشب وفيها خير ، تأتي دوابُّهم وترعى ، فمن كل النواحي استفادوا منها ، حفظت الماء وآثاره ظهرت فتأتي إليها الناس تتوافد حتى تكسب ما فيها من ثمار قد نزلت وحلَّت فيها .كذلك أهل العلم الذين تحمَّلوا الرواية وأدَّوا الدِّراية والفهم للنصوص ، فهؤلاء الناس فيهم كذلك ؛ فهذا وصف الأرض الأولى أنها أنبتت وحفظت الماء وانبتت الكلأ الكثير والعشب الكثير .

الوصف الثاني : « **ومنها أجادب** » الأرض جدباء ، الأرض الجدباء هي تُمسك لكن ما يظهر فيها أثر الزرع مثل الأولى ، إنما هي أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وأخذوا الماء وسقوا ، يعني استفادوا منها في زروع أخرى ، وليست في محلها ، ليست هي التي أخذت الزرع لأنها ليست أرض زراعية إنما هي أرض انحبس الماء فيها .

ومثل آخر : « **قيعان** » وهي ما استوى من الأرض وانبسط لا يمسك ماء ولا ينبت كلأ ، أقرب مثل لها الصبخ ، تعرفون الصبخة؟ الأرض الصبخة مستوية ينزل عليها الماء حلو تؤثر عليه وتجعله مالح ولا ينبت فيها شيء . تعرفون الصبخة أم لا ؟ الذي يأتي من طريق الإمارات أكثر المنطقة من هناك تجدها صبخة ، والصباخ كثيرة فهي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فإياكم أن تكونوا كذلك ، انتبه! لا تصير صبخة لا ينفع فيك علم ولا تنفع الناس ، عليك أن تكون كالأولى التي أبقت الماء وأنبتت الكلأ فنفعت نفسك ونفعت الناس ، ولذلك هذه أصناف الناس ، والنبي ﷺ ضرب لذلك مثل ليبين أصناف الناس ، وذكرها لكم ثلاثة أصناف :

- تحمَّل العلم وفَقُه فيه وأدَّاه .
- تحمَّل العلم لكن لم يفقه فيه ، إنما أدَّى العلم أما فهمه ما يفهم ، قال ﷺ : « فرُبَّ حامل فقه ليس بفقيه ، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه » .

- الثالث لم يحمل العلم و هو لم يفقه معانيه .

ولو تاملنا التبويب **(باب وجوب تعلُّم القرآن ، وتفهُّمه ، واستماعه ، والتغليظ على من ترك ذلك)** هذا فيه بيان حال هذا الصنف الثالث .

والنقية الأرض الطيبة الطاهرة الأولى ، أما الأجادب هي التي تمسك فقط يستفيد منها الناس كمياه للشرب أما هي ليست بأرض زراعية .

قال المصنف **(أخرجاه)** يعني من هم؟ البخاري و مسلم .

وكذلك خرَّجه أحمد .

المتن : (وعن ابن عمرو – رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال : «ارحموا تُرحموا ، واغفروا يغفر الله لكم ، ويلٌ لأقماع القول ، ويلٌ للمُصِرِّين الذين يُصِرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون » رواه أحمد) .

الشرح : هذا الحديث رواه أحمد ، وأيضًا صحَّحه الشيخ أحمد شاكر–رحمه الله– قال : إسناده صحيح ، وصحَّحه أيضًا الشيخ الألباني– رحمه الله– في السلسلة الصحيحة رقم (٤٨٢) . وهذا الحديث أيضًا فيه بيان معاني يتناول فيها ما يتعلق بالباب وغيره .

قال ﷺ : **«ارحموا تُرحموا ...»** ، وقد قال ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ... » و هذه صفات المؤمنين ، لاحِظ هنا ذكر أشياء فيها صفات جميلة ودلَّ عليها وحبَّب فيها ورغَّب فيها .

قال ﷺ : **«ارحموا تُرحموا ...»** هذا من الرحمة ، ولذلك لما ذكر الله ﷻ صفة نبيه ﷺ قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران :١٥٩] .

والله –تبارك وتعالى– يقول : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[الأعراف:١٥٦] ، وكذلك في الحيث القدسي قال تعالى : « رحمتي سبقت غضبي » . قوله ﷺ : **«ارحموا تُرحموا ...»** لابد أن يتراحم أهل الإسلام فيما بينهم ، وهذه صفات أهل القرآن ، ولذلك لما سُئلت عائشة – رضي الله عنها– عن خلق النبي ﷺ قالت : كان خلقه القرآن . و هذه صفات أهل القرآن أنهم أهل الرحمة وأهل شفقة ، أهل عفو وأهل صفح ، قال تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة النور:٢٢] ، فهم يحبون العفو ، وأهل رحمة فيحبون بعضهم البعض .

قوله ﷺ : **«واغفروا يغفر الله لكم ...»** هذا جزاء أنَّ الذي يتسامح عن الناس و يعفو عن الناس يعفو الله عنه ، قال تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ﴾ و هذه صفات حثَّ عليها الشارع الحكيم وأمر الله ﷻ بها ودلَّ عليها ثم قال تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة النور:٢٢] ؛

فمن أحبَّ أن يغفر الله ﷻ له فليعفُ وليصفح ، لا يكن حقود ، كؤود ، غليظ ، بغيض ، دائمًا يريد الذي له ولا يؤدي الذي عليه ، هذا قليل الأصحاب لأن فيه نزعة أنانية ، لكن كُن سموح ، اعفُ واغفِر ، سامح ، والمغفرة هنا صفة لهذا الذي يرجو رحمة ربه ﷻ أن يغفر للناس ويسامح الناس ، ما هو لأنه مثلا عاجز عن حقه ، لا ؛ لأنه يرجو من الله ما هو أعظم ، هو قادر على أن يأخذ حقه ولكن عفوه و تسامحه لأنه يعلم أن الله ﷻ أكرم وأنه سيجازيه ، ولذلك كما في حديث الذي يعفو عن الناس في الدَّين فكان يرسل عماله ليستوفوا الحقوق من الناس فمن وجدوه مُعسرًا أنظروه ، فكان الجزاء له أن غفر الله له ، ولذلك دائمًا إذا كنت في هذا الموقف ذا قدرة فالعفو صفةُ كمال ، والعفو عند المقدرة ، تعفو عند المقدرة ، والصبر والتحمل ، لا تكن ضيِّق العَطَن ، سريع الانفعال ، سريع الغضب ، ذا نزعة عدوانية انتقامية فهذه كلها صفات شيطانية ، حقك سيأتيك في الدنيا أو عند الله ﷻ ، فلا تقع في أخطاء تستوي أنت والمخطئ عليك فيها سواء ؛ بل ارحم واغفر عسى أن يُغفر لك ، والمغفرة من الله نعمة .

وعليك أن تكثر من الاستغفار ، إذا وجدت في نفسك قلَّة في الاستغفار فانتبه أن تكون مستدرج من حيث لا تشعر ، ولذلك قال ﷺ : « طوبى لمن وُجِدَ في صحيفته استغفارًا كثيرًا » ، أما إذا وجدت نفسك قليل الاستغفار ولا تستغفر ، وتجلس المجالس وتقوم ولا تستغفر ، ويمر بك الوقت ولا تستغفر ، فاعلم أنك على خطر ، اعلم أنك على طرف استدراج ، فالنبي ﷺ و هو المعصوم ومغفور له الذنب كان في المجلس يستغفر أكثر من سبعين مرة ، بل يُحسب له الاستغفار في اليوم مائة مرَّة .

ورد دعاء كفارة المجلس : « سبحانك اللهم و بحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » ، وأكثِر من الاستغفار تُوفَّق بإذن الله ، الاستغفار والمداومة عليه بركة ، تُغفر ذنوبك ، تُؤتى قوة ، تؤتى الخير ، وقد قال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح:١٠-١٣] .

الله أكبر! الاستغفار نعمة ، و إذا رأيت من نفسك كثرة الاستغفار فكُن لله من الشاكرين الذي وفقك لذلك . وسيد الاستغفار دعاء سماه النبي ﷺ سيد الاستغفار : « اللهم أنت ربي خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

تحفظ هذا الحديث أم لا تحفظه؟ احفظه ، وإن كنت تحفظه اعمل به ؛ ثمرة العلم العمل .

هل قلت هذا الحديث؟ لا يفوتك في الصباح والمساء ، وهو من الأذكار المطلقة ؛ أي يرددها الإنسان ، « فطوبى لمن وُجِدَ في صحيفته استغفارًا كثيرًا » .

ثم بعد ذلك بعد هذا الترغيب في هذه الرحمة و هذه المغفرة ذكر هنا أمر وهو للتوبيخ لهم ولفعل من لم يستفد بالقرآن ؛ فأهل القرآن أهل رحمة وأهل مغفرة ، فهو يؤثر عليهم لأنهم تعلموه وعملوا به وفهموه فكان أثره عليهم أنهم أهل رحمة وأهل مغفرة ، قال ﷺ :« **ويلٌ لأقماع القول ...** » القمع : آلة تستعمل في تعبئة الأشياء أعلاها واسع وأدناها ضيق ، تستعمل في المائعات ، تستعمل في الأشياء مثل ما تُجعل فيها ... ، يسمونها حاوي ، يسمونها محقان ، يسمونها صبَّاب ، قمع ، عرفتوها؟ وغالبا لا يعلق فيه شيء ، عندما تُجعل فيه المادة ينقلها ، فشبَّه أسماع هؤلاء أنها كالقمع فلا يعُون ، ولا يحفظون ، ولا يعملون ، مثل الأقماع التي لا يعلق بها شيء ، ولذلك قال ﷺ :« **ويلٌ لأقماع القول** » يعني جهة آذانهم مثل القمع فقط تسمع لكن يعمل؟ لا ، ما يعمل .

فالمؤمنين إذا أذنبوا استغفروا ، وإذا أخطأوا تابوا ، وإذا فرَّطوا أقبلوا على الله – تبارك و تعالى– لا يستمرون على ما هم عليه ، ابن آدم خطَّاء والجبلة البشرية أن الإنسان يخطئ ويستغفر ويعود إلى الله ﷻ ، ثم يذنب ، « ولو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وأتى بأقوام يذنبون ويستغفرون » ، ولذلك صفة المؤمن أنه رجَّاع ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] وهذا معنى الحديث .

ثم قال ﷺ :« **ويلٌ للمُصِرِّين الذين يُصِرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون** » الإصرار : لزوم الشيء ومداومته ، مُصِرٌّ عليه أي : ملازم عليه ومداوم . هذا الإصرار ، والثبوت عليه ، وغالبا يستعمل في الشر أنه مصرٌّ عليه ، ولذلك دائمًا يذكرون في بعض المسائل : والإصرار على الصغيرة يُصيِّرها كبيرة . فما بالك إذا كان مصرًّا على كبيرة! فهو مصرٌّ .

معنى الإصرار على الشيء أي : المداومة وعدم التوبة منه .

وأما الذي يذنب ويستغفر كما ذكر الله وصفهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران : ١٣٥] إنما يتوبون إلى الله ﷻ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] ؛ لأن الغشيان للذنب مثل العمى ، تنعمي فيه البصيرة فيصبح الإنسان أسير شهوته ، لا يتدبر لا يتأمل ، فإذا فارق ذلك كأنما اسيقظ من سَكْرة ، وكأنه أبصر من عمى ، وكأنما استيقظ من نوم ، وكأنما أفاق . وباب التوبة مفتوح ، وليس معنى أن الإنسان يذنب ويستغفر يذنب ويستغفر أنه لعَّاب ؛ هذه جبلة بشرية ، مَن منا لا يذنب؟! ولكن إيـَّاك من الإصرار والمداومة عليه ، وليس هذا إذنٌ لنا في ممارسة الذنوب ، لا ، إنما هي حالة بشرية في أمور الإنسان يطرأ عليه الغفلة

فيضعف منه الإيمان فيزل اللسان ، فيضعف الإيمان فتزيغ العين ، فيضعف الإيمان فيسترق السمع ، ويضعف الإيمان فتبطش اليد ، ويضعف الإيمان فيقع في المؤاخذة ، ولذلك يقول النبيﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن- إنما يكون الإيمان عليه كالظُلَّة - ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » فهذا عمل غير صالح ، فلذلك حال غشيان الإنسان للذنب موقف ضعف ، ولذلك أولياء اللهِ اللهُ - تبارك وتعالىٰ — معهم كما جاء في الحديث القدسي : « كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . . . » .

فحال غشيانك لِمَا لا يرضي الله ﷻ في قول أو سمع أو بصر إنما هي حالة ضعف قد أوكلت فيها إلىٰ نفسك ، فانتبه! هي حالة ضعف قد أوكلت فيها إلىٰ نفسك ، فانتبه أن تمت وأنت علىٰ تلك الحالة فيُختم لك بسوء ، بل عليك أن تُكثر من الاستغفار ؛ ألا ترون أن الصلاة وهي من أشرف الأعمال والعبادات ما إن نفرغ منها إلا ونسارع بعد ذلك بماذا؟ بالاستغفار : « استغفر الله ، استغفر الله ، استغفر الله » مع أن العمل الذي قمت به عمل صالح ، لكن تستغفر لِمَا وقع منك من تقصير في عدم أداء هذه العبادة علىٰ الوجه المطلوب من حيث الخشوع وحضور القلب وإتيانها علىٰ الوجه التام ، فأنت تستغفر لِمَا وقع منك من تفريط في عدم الإتيان بالعبادة علىٰ الوجه الصحيح ، فكيف بما يقع فيه الإنسان من المخالفات فيما يتعلق بسائر الذنوب والمعاصي؟

أما الشرك فلا بد له من توبة قبل الموت فمن مات علىٰ الشرك فلا يغفر الله له ؛ قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨] . وأما الكبائر إن مات عليها دون توبة فهو تحت المشيئة ، إن شاء غفر الله له وإن شاء عذَّبه ، كذلك الشرك إذا تاب منه تاب الله عليه ، لكن إن مات من غير توبة فهو كما تقدَّم في الوعيد .

وأما المعاصي التي هي دون الكبيرة فهي مما تندرج تحت مكفِّرات الذنوب : كالوضوء والصلاة إلىٰ الصلاة ، والجمعة إلىٰ الجمعة ، ورمضان إلىٰ رمضان ، والعمرة إلىٰ العمرة ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

هذا فيما يتعلق بهذه الأمور في جانب أهل القرآن ، أهل رحمة ، أهل مغفرة ، أهل استغفار ، وأيضا هنا وعيد لمن خالفوا في ذلك فلم يكن لهم القرآن حُجَّة بل كان القرآن عليهم حُجَّة ، فالقرآن إما أن يكون حُجَّة لك أو حُجَّة عليك .

المتن: (باب الخوف على من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين ، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾[سورة محمد:١٦]) .

الشرح: إذًا هنا باب الخوف ، بعد أن بيَّن فضائل القرآن وفضائل التعلُّم وما يتعلق بوجوب الفهم له وعدم ترك ذلك ، هنا ناسب أن يُبيِّن أن من لم يقع في هذا يجب عليه أن يمارس ما يُعينه على الفهم ، وأن يخاف أن يكون ممن قد شابه المنافقين في صفاتهم لأن عليه أن يتدبر ، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [سورة محمد:١٦] ، هذا تتمة الآية .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ مَن المقصود بقوله ﷻ ﴿ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ ؟ هم الصحابة ﷺ هم أهل العلم . ولذلك يقول ابن مسعود ﷺ لأصحاب الحِلَق لما أنكر عليهم ما هم فيه قال: هذه آنية رسول الله لم تكسر ، و هذه ثيابه لم تبل ، وهؤلاء صحابته متوافرون .

إذًا من أسباب الانحراف ترك التلقي على أهل العلم ، والمضروب بهم المثل قال هم الصحابة ﷺ ، وهنا سماهم الله – تبارك وتعالى– كما في ذكر حال هؤلاء ﴿ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ وهم الصحابة ﷺ الذين نزل عليهم القرآن وسمعوه غضًّا طريًّا من رسول الله ﷺ ، وعرفوا معانيه وما فيه وما يعنيه .

فهؤلاء يسمعون ولا يعون ، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد:٢٤] ، ولذلك ذُمَّ من لم يتدبر فقال الله – تبارك وتعالى–: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص:٢٩] ، يعني ليس له لُبّ من لم يتذكر و لم يتدبر ، إذن فعليك ألا تكون من هؤلاء .

وأيضًا مرَّ بنا قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[الإسراء:٤٦] يعني لم يفهموه و لم يعوه ، ولذلك حواسهم عليهم ليست لهم ، قال تعالى: ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ... ﴾[الأحقاف:٢٦] ، ولذلك نُهينا عن حال هؤلاء كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[الأعراف:٢٠٥] .

فهؤلاء أهل الغفلة ، هؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم لأنه طُبِعَ عليها ، نسأل الله السلامة .

المتن: (وقوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٧٩]) .

الشرح: هم لهم قلوب ، ولكن هذه القلوب فيها صفة ذمٍّ أنهم ﴿ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ بمعنى: انتبه أن لا تفقه الآيات والأحاديث . واليوم تيسرت سبل المعرفة طُبع الكثير من كتب التفسير ، بل بعض المجلدات الضخمة جُعلت في مجلد واحد وسُهِّلت . هل قرأت المعاني لكتاب الله؟

عربيتُنا فيها ما فيها ، فنحن نقرأ القرآن فهو عربي فصيح ونحن عرب لكن كثير من المعاني بحاجة إلى أن نرجع إلى معانيها وأن نقرأ ماذا قال فيها النبي ﷺ ؟ ماذا قال الصحابة ﷺ ؟ ماذا أتى من تفسير عن السلف لهذه الآيات؟

هل قرأت التفسير؟ هل قرأت تفسير القرآن؟

كم مرَّ بك وأنت تقول: ساقرأ ، سأقرأ؟

بل إني أقول إن بعض الناس من لم يختم القرآن ، ولا يعرف ختمة القرآن إلا في رمضان ، هذ إن كان ممن يختم في رمضان . فلا بُدَّ أن يخاف الإنسان أن يُشابه المنافقين المعرضين عن كتاب رب العالمين ؛ لأن الذي ينصرف انصرف عنه ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥] فنعوذ بالله من الزيغ ، وهذا جزاء المرضى ، قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠] ، ولذلك تُصرف وسائل التلقي عندهم كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ... ﴾ [الأنعام:١١٠] يعني مصادر معرفة الحق تصبح عنده منكوس فهمها ما توصله كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك:١٠، ١١] .

المتن: (عن أسماء – رضي الله عنها– أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبًا من فتنة الدجال ، يؤتَى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن– لا أدري أي ذلك قالت أسماء – ...») .

الشرح: يعني هنا في الرواية تنقل عن أسماء وشكَّت في ما قالت أسماء ، هل قالت المؤمن أو قالت الموقن؟ فأوردت اللفظين .

المتن: («فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا. فيقال: نِم صالحًا فقد علمنا إن كنت لمؤمنا. وأما المنافق أو المرتاب فيقول:لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته» أخرجاه).

الشرح: إذًا **«المؤمن أو الموقن- لا أدري أي ذلك قالت أسماء...»** على كلٍّ كِلا الوصفين وصفٌ صحيح، ولفظ **«المؤمن»** ليس من ألفاظ البخاري، ولفظ مسلم **«قد كنا نعلم أنك لتؤمن»**.

الفتنة في القبر نؤمن بها، وهي من أول علامات وأول بدايات اليوم الآخر، لأن أحكام البرزخ ليست من أحكام الدنيا إنما من أحكام الآخرة، وإن كانت جزء منها في الدنيا إلا إنها من عالم الغيب وليست من عالم الشهادة؛ بدليل أن ما يحصل في القبور لا نراه سواء نعيم أو عذاب.

على كلٍّ عالم الغيب غير عالم الشهادة؛ فعالم الغيب غيب لا يُدرك، وعالم الشهادة ما نحن فيه وما نراه، فنسأل الله أن يحسن خاتمتنا وإياكم.

ليس هذا كما يقول البعض أنتم تنفون عذاب القبر، لا والله نؤمن به، نعلم أن عذاب القبر وارد في النصوص كما ذكر الله ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾[غافر:٤٦]، وهذه الآية في آل فرعون، ونعلم باقي النصوص الشرعية الواردة وهذا منها، فعذاب القبر معلوم، وظلمته، وحديث البراء وغيره، كلها وردت فيها أحاديث كثيرة.

ولذلك نقول لهؤلاء اتقوا الله ولا تخوِّفُون الناس بغير النصوص الشرعية، إن في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لموعظة كافية، ومن لم يكفه ما في الوحيين فلا يكتفي بغيرها، ولكن تركوا الوحيين وانصرفوا للمنامات والخزعبلات والكذب والخرافات.

هذه فتنة القبر وعذاب القبر، قال رسول الله ﷺ: **«إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبًا من فتنة الدجال...»** لأن الدجال فتنته في الشهادة يعني في الحياة الدنيا لدرجة أنه يأتي للرجل ويحيي له أمه وأباه فيما يظن أنهم كذلك، ويكون معه من الجن، ويكون معه من اليهود، والخوارج يتَّبعون الدجال فهم دجاجلة، فقد قال ﷺ: « حتى يخرج في أعراضهم الدجال »، وقال أيضًا: « كلما خرج لهم قرن قُطع ».

فهذه فتنة، ومن مات يوم الجمعة أُمِن من فتنة القبر، « موتة يوم الجمعة أمانٌ من الفتَّان »، من فتنة القبر، فهنا أسئلة، وهناك ضمَّة في القبر، « ولو ينجو منها أحد لنجا منها من سعد » - فنسأل الله أن يكفينا شر الفتن- فيُسأل الرجل عن ربه؟ وعن نبيه؟ وعن دينه؟

وهذا إن كان من أهل القرآن الذين قرأوه وتعلموه وفهموه وعملوا به، وليس فقط ممن تعلَّمه وعَلِمه لكن لم يعمل به، فهناك من يحفظ القرآن وربما متقن للقراءات ولكنه من دعات الشرك والاستغاثة بالأموات فهذا القرآن حُجَّة عليه ما هي حُجَّة له.

وأما الآخر « **فيقول : سمعت الناس يقولون فقلته** » ، ولذلك مسائل الاعتقاد لا يكون فيها التقليد إنما يكون فيها الأدلة ؛ لأنه يبني كلامه على ماذا؟ على قال الله ، قال رسول الله ﷺ . ليس هو بسمعتهم يقولون فقلت مثلهم!

وهذه مسائل في الاعتقاد : من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ المعتقد يريدُها ويريدُ الاعتقاد فيها ، والذي يسمع الناس ، سمعتُ الناس يقولون كذا ويقولون كذا! ليس قائم أمره واعتقاده على الأدلة الشرعية والنصوص ؛ قلت يا رب في كتابك كذا ، أتانا عن نبيك ﷺ كذا .

المتن : (وفي حديث البراء في الصحيح : « أن المؤمن يقول : هو رسول الله . فيقولان : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت » رواه أحمد) .

الشرح : قوله : **(وفي حديث البراء في الصحيح)** لعله يقصد : **(وفي حديث البراء الصحيح)** لأن حديث البراء ليس في الصحيح إنما هو في السنن . كلمة **(في)** ضعوا عليها خط ، تصير العبارة كيف؟ **(وفي حديث البراء الصحيح)** يعني هو يراه صحيح ، وهو حديث صحيح صحَّحه الألباني-رحمه الله- كما في المشكاة .

قوله ﷺ : « أن المؤمن يقول : هو رسول الله . فيقولان : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت » قالها باعتقاد أم هو من جماعة يقولون؟!

انتبهوا! فأمور العقيدة لا بد أن تبنيها على النصوص وعلى الأدلة ، ولذلك تجد علماء السنة إذا أوردوا في مسائل الاعتقاد :

- إما أن يكون سابق الكلام دليل .
- أو أن يكون تابع للكلام والدليلُ على ذلك قوله : كذا .

ومن أجمل ما كُتب في هذا من كتب المتأخرين (الأصول الثلاثة) فالأصول الثلاثة مبنية على الأسئلة الثلاثة : من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فتجدها مبنية من أولها : (اعلم -رحمك الله- . . .) فتجد أنه بدأها : (دين الإسلام والدليل على ذلك قوله تعالى : . . . ، ثم . . . والدليل على ذلك قوله تعالى : . . . ، و نبيك . . . والدليل على ذلك قوله تعالى : . . .) فأورد كل شيء ومعه أدلته ، وهذا ما يميِّز اعتقاد السُّني السلفي المتَّبع لصحابة النبي ﷺ يبني اعتقاده على أصول الأدلة من القرآن ومن السنة .

وهذا الحديث صحَّحه الألباني-رحمه الله- كما في مشكاة المصابيح رقم (١٦٣٠) .

المتن: (باب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ الآية [البقرة:٧٨] ، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ الآية [الجمعة:٤، ٥]) .

الشرح: قال المصنف: **(باب قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ الآية)**

الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – أحيانًا يختار الباب من عنده ، وأحيانا يكتفي بذكر آية ؛ يورد الآية ويكتفي بها أن تكون هي عنوان للباب .

فهؤلاء ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ يعني: لم يعرفوا معانيه ولا ما فيه إنما يتخرَّصون بالكذب والافتراء ، أماني بالكذب والافتراء . ثم ذكر أن هؤلاء وصفهم كوصف من؟ كوصف اليهود فقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾[الجمعة:٤، ٥] هنا سواء في روايتها أو في درايتها ، ما حفظوها مع أنه أُوكل الحفظ لهم فما حفظوها ، قال تعالى: ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ ﴾[سورة الحديد:٢٧]) ، ولكن حرَّفوا فيها وبدَّلوا فيها وزادوا فيها وأبطلوا معانيها ، حتى معانيها أفسدوها ، فهم لم يحملوها حقيقة الحمل بل خانوا في ذلك فشُبِهوا كالحمير ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ الحمار يُضرب به المثل في الغباء .

واليهود ضُرب فيهم مثلين: كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فشبهوا بالكلاب وبالحمير ، ومُسخوا قردة وخنازير . وهم من أشرِّ الخلق والخليقة ، ولكنَّا في عصر أصبح لهم فيه شأن بالقوة المادية وضعف الناس من حيث صحة الاعتقاد ، فالمسلمين بحاجة إلى أن يعتنوا بمسائل العقيدة أشد العناية ، فالعالم الإسلامي كله – إلا ما رحم الله – بحاجة أن يرجعوا إلى ربهم وأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأن يستقيموا على السنة ويتركوا البدع ؛ العالم الإسلامي– إلا ما رحم الله– مليء بالبدع والخرافات ، لا يغركم النقلة الحضارية والعصرية وما يسمونها بالتكنولوجيا والتقنية ، تطوفنا في كثير من البلاد الإسلامية والله للجهل ضارب بأطنابه ، جهل الأمور الدينية وليست مسألة القراءة والكتابة ؛ فهناك فرق بين انتشار القلم وبين اندراس العلم ، فانتشار القلم من علامات الساعة ، انتشار القلم: أن الناس تقرأ وتكتب ، بل الآن يسعون لمحو الأمية ، يريدون أن يمحوا الأمية! و « أمتكم أمة أمية » وهذا باقٍ فيها من صفاتها . ومع ذلك انتشار الجهل من علامات الساعة ، فالجمع ما بين انتشار القلم أي معرفة الناس القراءة والكتابة ولكن من حيث الجهل في الأمور الشرعية والدينية فهو ضارب بأطنابه في العالم الإسلامي .

لا تستغرب أن تجد دكتور ، وبروفيسور ، استشاري ، مكتبة مليء بالشهادات جاهلٌ بأحكام الطهارة!

لا تستغرب أن تجده جاهل بأحكام التوحيد والعقيدة!

جاهل بأحكام الاتباع ، وأحكام الصلاة والعبادة!

لا تستغرب! بلغ أعلى درجات من حيث القلم والتقنية لكنه جاهل في معرفة ربه .

فهؤلاء شُبِهوا بأغبى الحيوانات ، وهو معروف عن الحمار أنه غبي وفيه نسبة ذكاء أنه يعرف طريقه الذهاب والإياب ، ولكن هؤلاء لا يعرفون لا في طريق الذهاب ولا في طريق الإياب .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾ أي : معه كتب العلم ، فهو مليء بكتب العلم فعندما تُحمل مكتبة على ظهره فيها مما فيها من سبيل الخير والرشاد لكن هل يدري ما على ظهره؟ ما يدري ما على ظهره ؛ والذي لا يستفيد مما على ظهره ربما يضل وعنده مفتاح من مفاتيح الهداية ، بل ربما يظمأ ويموت كما قال الأول :

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

العيس : الإبل .

ما استنفعت من الماء الذي على ظهورها ، ماتت من الظمأ .

أتظنون أن أهل الأهواء والبدع ما عندهم كتب!

ليس في مكتباتهم كتب تفسير القرآن والسنة!

أما قال تعالى : ﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ قيل (الأميّ) يعني : نسبةً للأمة التي هو فيها . وقيل (الأميّ) : نسبة إلى أمِّه يعني هو ابن أمه منذ خرج من أمه لم يتعلم شيء ، كيوم خرج من بطن أمه ، فنُسب إلى أول خروجه كما قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ... ﴾ الآية [سورة النحل:٧٨] ، فهذا بقي على عدم العلم فسُمِّي أميّ .

وأقربُ وصفٍ للأمي : العامي وهو قليل القراءة والكتابة أو معدومها ، يعني لم يتعلم ؛ وهذا ذمّ فهو مع عدم تعلُّمه يتكلَّم في القرآن وفي السنة ، مثل ما تجد بعض المجالس العامة لما تأتي فيها ويأتي فيها ذِكر مسألة شرعية – وربما يكون في المجلس طالب علم أو أحد أهل الفضل ممن تعلَّم – فيأتيك العوام يتكلمون في دين الله هذا حلال وهذا حرام . ما مرَّ بكم هذه المجالس؟! وهو أمي لا يعرف شيء ، وربما يأتي في مسألة فيها نصوص من القرآن والسنة بالتحريم يقول : هذه ما فيها شيء! وربما تأتي مسألة ليس فيها شيء وأَذِن الشارع بها تجده يقول : حرام أعوذ بالله كيف هذا يُفعل!

فهو يتكلَّم بما في عقله فما استحسنه في عقله يراه حسن وما استقبحه في عقله يراه قبيح ، وهذ أصل من أصول المعتزلة . انتبهوا ! هذا أصل من أصول الضلال الذي ضلَّت به فرقة اسمها المعتزلة ، وهذا الأصل عندهم يسمونه : التحسين والتقبيح العقلي ؛ فيبني أموره على التحسين العقلي وعلى التقبيح العقلي .

فتجده يقول: هذه ما يغالها [...] [1] شيخ هذه بس تأملها، انظر، فكّر فيها، فيراها مستحسنة.
غالب الذي في السوق اليوم تجدون اليوم بيع وشراء من الحرام واللعب والغش يسمونه فلان ذكي، فلان شاطر، في السوق شاطر، فلان يعرف كيف يشتري ويعرف كيف يبيع وهو حيَّال كذاب غشاش واقع في أصناف الحرام، ... الرجاجيل كده شطارة، والتجارة شطارة!
لا. الحلال أحلَّه الله والحرام حرَّمه الله، ليس الحلال ما حلَّ في يدك وليس الحرام ما حُرمت منه، ما هو على كيفك الذي أنت تحسنه أو تقبحه، ومع ذلك على جهالتهم إلا أنهم يتخرصون ويكذبون ويفترون.

المتن: (عن أبي الدرداء ﷺ: كنا مع النبي ﷺ فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: «هذا أوان يُختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء»، فقال زياد بن لبيد الأنصاري ﷺ: كيف يُختلس منا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لَنقرأنـّـَه ولنُقرئنَّه نساءنا وأبناءنا. فقال ﷺ: «ثكلتك أمك يا زياد إن كنتُ لأعدُّك من فقهاء المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تُغني عنهم؟» رواه الترمذي وقال: حسن غريب).

الشرح: أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي ﷺ الصحابي المعروف توفي سنة ٣٢ ، وهو معروف بعلمه وزهده.

يقول ﷺ: **(كنا مع النبي ﷺ فشخص ببصره إلى السماء)** انظروا مراقبتهم للنبي ﷺ حركاته، تصرفاته، نظرته؛ حتى نظرته لـمَّا نظر إلى السماء، شخص ببصره، ثم نظر كذا، ثم اتكأ، وفي بعض الروايات أخذ عودًا ثم نكت به في الأرض ثم قال كذا، وأحيانًا تجده يقول أتى إلينا وأصغى إلينا، وأحيانًا يقول فأطرأ، وأحيانًا يقول فتبسم، وأحيانًا يقول وكان متكئا ثم جلس...، فتجد وصفهم لحركات النبي ﷺ لشدة تعلقهم به، فيكاد السامع للرواية كأنه حاضر المجلس ويرى جميع ما فيه، وهذا يدل على قوة تعلقهم بالنبي ﷺ واتباعهم، قاتل الله من طعن فيهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.
قال ﷺ: **(كنا مع النبي ﷺ فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: «هذا أوان يُختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء»، فقال زياد بن لبيد الأنصاري ﷺ ...)** زياد بن لبيد ﷺ هو من الصحابة ممن وَلِي حضرموت وتوفي في أول خلافة معاوية ﷺ ، وهو أنصاري، يقول: **(فقال زياد بن لبيد الأنصاري ﷺ: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن؟...)** كلمة فيها حزن، فأراد أن يبين عزم على أمر وبادرة يريد أن يفعلها، يقول نحن قد قرأناه كيف يختلس منا؟ فقال: **(فوالله لَنقرأنـّـَه ولنُقرئنَّه نساءنا وأبناءنا)** حرص وتواصي عليه، هذا في القراءة، فماذا قال له النبي ﷺ؟ **فقال ﷺ: «ثكلتك أمك يا زياد...»** وهذه كلمة

١() هنا كلمة غير واضحة بالشريط.

تقال ولا يُراد معناها ، وثكلتك : فقدتك . وكما قال النبي ﷺ لزوجته : « عقرى حلقى أحابستنا هي » فأحيانًا تأتي بعض الكلمات لا يُراد معناها إنما هي مما شاع على الألسن ، مثل ما يصير من بعض الناس : جعل فيه كذا أو ... ، فتقال كلمة في عبارات الناس العامية ... ما يراد معناها لكن مما تستعمل على وجه التوبيخ ، أو على وجه العتاب ، أو على وجه الملامة ، إلى أمر ينبغي ألا يكون مثلك وقع في مثل هذا .

فقال ﷺ : « ثكلتك أمك يا زياد إن كنتُ لأعدُّك من فقهاء المدينة ، ... » يعني : من ذوي الفهم ، وهو لا شك أنه ذو فهم ورأي ودراية ولكن بعض المسائل تفوت فنبَّه عليها النبي ﷺ .

فقال ﷺ : « هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى ... » ضرب مثل باليهود والنصارى بما عندهم ، بل إن النبي ﷺ لما أرسل معاذ ﷺ إلى اليمن قال : « إنك ستأتي قوما أهل كتاب ... » يعني عندهم ما يُفيد لكنهم لم يستفيدوا بما فيه ، ولذلك لما رأى النبي ﷺ مع عمربن الخطاب ﷺ نسخة وورقات من التوراة قال : « أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب — يعني : أفي شك مما أتيت به – وقد أتيتكم بها بيضاء نقية ... » لو كان فيها هدى ما ضلوا ولكن حُرِّف ما فيها فضلوا وأضلوا .

قال ﷺ : « هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تُغني عنهم؟ » أي : ليست بسبب لإنقاذهم لأنهم حرَّفوها ووقعوا في الباطل ، فلم يستفيدوا لا من حيث ما فيها ولا في معانيها فقد أفسدوا ذلك .

كذلك الذين يقرأون القرآن وهم لا يفهمونه ، ولا يعملون به ، ولا يتكلمون فيه إلا أماني هم كالحمار يحمل أسفارا ولو كانت نافعة لنفعت ، فلا تستغرب عندما ترى إمامًا من أئمة الضلال وعالم من علماء البدع مكتبته مَلْآ من كتب التوحيد والسنة وهو على الضلالة ، فما تنفع الحسناء عند الأعمى ! لا يستمتع بحسنها ؛ الجميلة عند الأعمى لا يستمتع بجمالها! فتستوي عنده الأمور بل لربما قدَّم كتب الباطل على كتب الحق ولفسَّر الحق بالباطل ، وليس بعد الحق إلا الضلال .

وهذا الحديث رواه الترمذي في كتاب العلم : باب ما جاء في ذهاب العلم ، وأيضا الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه على ذلك الذهبي .

المتن: (وعن عائشة – رضي الله عنها– أن رسول الله ﷺ لما أُنزل عليه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ إلى قوله: ﴿ سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ الآيتان[آل عمران:١٩٠، ١٩١] قال: «ويل لمن قرأ هذه الآية و لم يتفكَّر فيها » رواه ابن حبان في صحيحه) .

الشرح: قال ﷺ: «**ويل لمن قرأ هذه الآية و لم يتفكَّر فيها** »أي: لمن لم يتفكر في هذه المعاني .

﴿ سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ لماذا قالوا ذلك؟ قال هذا أهلُ الفهم الذين تفكروا فاستعاذوا بالله – تبارك وتعالى– من عذابه ومن أليم عقابه ، فهم أهل الفهم عرفوا معناها فاستعاذوا بالله – تبارك وتعالى– من عذابه ، نسأل الله – تبارك وتعالى– أن يكفينا وإياكم شر ذلك . ولذلك ميزة المؤمن أنه صاحب تدبر وصاحب تفكر وصاحب تأمل في القرآن ، فلا يهذُّه ولا يغفل عن تدبرما فيه ، فعليه بمراجعة كتب التفسير : كتفسير ابن كثير ، وتفسير ابن جرير الطبري ، وكذلك من التفاسير العصرية : تفسير ابن سعدي فهو تفسير جميل ، وهناك مطولات ومباحث كتفسير أضواء البيان للشنقيطي ، وغيره من كتب أهل العلم الذين صفت عقيدتهم فحرروا ما عليه أهل السنة ، واحذروا من التفاسير الباطلة التي وقعت في التأويل في الصفات أو الافتراء في معاني الآيات أو غير ذلك .

قال المصنف – رحمه الله– :(**رواه ابن حبان في صحيحه**) ، وابن حبان توسع فيها ، وأيضًا توسع السيوطي في تخريجه في الدر المنثور ، وأيضًا ابن كثير في المجلد الأول ٤٧٨عند بيانه لهذه الآية وتفسيره لها .

المتن: (باب إثم من فجر بالقرآن وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة البقرة:٢٦] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة المائدة:٤٤]) .

الشرح: (باب إثم من فجر بالقرآن) وهذا من الفجور ، ولذلك استدل على الفجور بالفسق ؛ لأن الفسق والفجور كلها من أصناف ما يميل به الإنسان عن طبعه السوي ، يعني خرجوا عن الطاعة ، هذا من الفجور أي: لم يعمل به بعد أن بلغه فلم يستقم عليه حقيقة الاستقامة بل فسق وضل ، فهم خرجوا عن الطاعة كما قال هنا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ ، ولذلك هذا وصف لمن حادوا عن الجادة لأن أهل الباطل عرفوا الحق وتركوه ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٤٦] ، هذا وصف لهم كما هو وصف هؤلاء ؛ يعني نشروا الباطل مع معرفتهم بالحق ، ليس عند هذا بالحق إنما يعلمون الحق ويعلمون طريقه ومع ذلك نشروا في الناس الأهواء والباطل ، بل ربما يأتي مضل من هؤلاء ويقول كنا نظن كذا

والصواب كذا ويترك الحق ويقرر الباطل ، أما من ترك الباطل فيما كان عليه وقرَّ بالحق فهذا من توفيق الله له ، وأما الذين نكسوا على أعقابهم فهم الذين بدَّلوا ونقضوا غزلهم بعد أن كانوا على الحق والصواب فإذا بهم قد انحرفوا إلى جادة الباطل .

ثم ضرب بهؤلاء أمثال كما ضرب بالفاسقين قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة المائدة:٤٤] وأتى لهم ثلاثة أوصاف : الكفر والفسق والظلم ، فهو ظالم في حالة ، وفاسق في حالة ، وكافر في حالة ، وربما تجتمع فيه الأمور كلها .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة البقرة:٢٦] ، **وقوله** تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة المائدة:٤٤] هنا في بيان حال من لم يحكم بما أنزل الله فهذا يوصف بالكفر ، ويوصف بالظلم ، ويوصف الفسق .فمن حكم بغير شرع الله يرى أن ذلك خير من حكم الله ، أو مثله ، أو مساويا له ، فهذا لا شك مما وقع في أمر مكفر .

وتنزيل الحكم على العين هذا في مسائل الأسماء والأحكام لا تكون إلا لأهل العلم قضاءً ، في مسائل اكتمال الشروط وانتفاء الموانع ، ولا يُستعجل في مثل هذه الأمور كما يقع فيه كثير من النشأ في مسائل التكفير ؛ فالمسألة في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل التفصيلية التي فيها تفصيل .

المتن : (وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾[سورة البقرة:١٧٤] **) .**

الشرح : هنا في بيا إثم من فجر بالقرآن ، فمن الفجرة الذين يفسِّرون لغرض دنيوي أو لمطامع أو لأهواء فهؤلاء يدخلون في هذه الآية أنهم تركوا بيان الحق ونشروا الباطل لأنهم كتموا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وهنا الكتمان للشيء هو : عدم النذارة والإبلاغ به ، فهم كتموه يعني عرفوا الحق ونشروا خلافه ، فهم كتموا الحق وهؤلاء متوَّعدون بلجام من نار . ما هو الباعث لهم في كتمان الحق من القرآن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ لماذا؟ لأنهم ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ فمهما كان العِوَض فهو من القليل ، مهما كان هذا العِوَض مال ، جاه ، سلطان ، تمكين ، أي شيء مهما كان هذا الذي اشترى به الحق ففسره بالباطل وكتم الحق و لم يخرجه للناس مهما كان فهذا قليل ، مهما رآه كثير ومهما أعطي عليه الكثير ومهما نال من الناس الكثير إن كان من أهل الكتمان فهذا قليل ، فكفى به أنه شرى بالحق الباطل .

المتن: (وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج في هذه الأمة – و لم يقل منها– ...»).

الشرح: أبوسعيد الخدري ﷺ معروف موقفه من الخوارج، هو من أشد الصحابة على الخوارج، وكلهم عليهم كذلك لكن أبوسعيد الخدري ﷺ يراهم المارقة، الخوارج ترضى بعض الأسماء لكنها لا ترضى اسم المارقة، لكن هم الموارق الذين مرقوا من الدين.

وانظر إلى قوله ﷺ في فهمه أنه: «يخرج في هذه الأمة – و لم يقل منها– ...» لأن «منها» نسبة إليها، وأما «فيها» فلا يكون من أهاليها ،قوله ﷺ: «يخرج في هذه الأمة» يعني ليسوا من أهل الإسلام وهو يراهم كذلك، وهناك بعضهم يراه كذلك، كما قال: (لعن الله الخوارج) وهذا أتى عن بعض الصحابة وهو أبوسعيد الخدري ﷺ، قالوا: (أوَ من نفسك ذلك؟) قال: (إني إذًا لجريء لقد قاله رسول الله ﷺ) وقال ﷺ فيهم كذلك: «يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون فيه».

نعم، هذا على عبارة قوله: «يخرج في هذه الأمة – و لم يقل منها– ...» هو يقصد هذا لأن هناك من أهل العلم من كفَّر الخوارج، وممن كفَّرهم شيخنا الشيخ ابن باز – رحمة الله عليه – يرى أن الخوارج كفار وهذا مشهور معلوم عنه، وهناك من أهل العلم من يرى كذلك، وليس هذا إجماع بل الجمهور على خلاف ذلك.

المتن: (وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج في هذه الأمة – و لم يقل منها– قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، فيقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم وحلوقهم، يمرقون من الدِّين مروق السَّهم من الرَّمية»).

الشرح: هذا من أدلة مَن يرون أنهم كفروا لأنهم مرقوا من الدين، لماذا؟ لأن الخوارج يقرأون القرآن وهم فجرة لأنهم غلوا وفجروا فيه، جفوا. ولذلك سيأتي باب ذكر أحوالهم وشأنهم، وعامة الخوارج هم أهل عناية في القراءة للقرآن لكن لا يضبطون مع رسمه معانيه ولا يعون ما فيه، فهم يتقنون القراءة ولكن يخالفون الصحابة ﷺ في فهم القرآن بدليل أنهم كفَّروا الصحابة ﷺ بالقرآن، كفروهم بآيات من القرآن وأنزلوها على الصحابة الذين ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[سورة البينة :٨] الذين شُهِد لهم، هم لم يرضوا بشهادة الله لهم فهم طعنوا في الصحابة وكفَّروا الصحابة ﷺ.

الصحابي يقتل الخارجي ويقول: ذق عذاب الله يا عدو الله.

الخارجي يحتج بالقرآن ويردُّ على الصحابي وهو في آخر نزع يقول: ستعلم أينا أولى بها صليا. يعني بمعنى تشوف مين الذي يذهب إلى النار أنا أم أنت؟

عبد الرحمن بن ملجم يشحذ سيفه بالسُّم أربعين يوم فيهوي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وعليٌّ ﷺ ذاهبٌ إلى صلاة الفجر وهو بالأبواب وهو يقول للناس: الصلاة، الصلاة. وهو ذاهب لذلك فإذا به يخرج عليه ويتلو قول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة:٢٠٧] من الذي قال الآية هذه؟ عبد الرحمن بن ملجم.

بن ملجم ما هو إنسان ليس هو بمعروف .!

لا ، هو معروف، يحفظ القرآن، لكن ممن يقرأونه بحناجرهم في زمن عمر ﷺ وهو صاحب قراءة زكَّاه عمر ﷺ، لكن ما تنفع التزكيات الخطية إذا نقض أهلها ما كانوا عليه مما كان يُظن بهم، معه تزكية مكتوبة: من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أرسلتُ لك برجل آثرتُ به لك على نفسي، اجعل له دارًا يُعلم الناس القرآن...

وذهب ابن ملجم بهذا الخطاب المكتوب إلى إلى عمرو بن العاص ﷺ فجعل له دار بجوار المسجد ويُعلم الناس القرآن، فانحرف مع من انحرف من الخوارج الذين خرجوا بمصر، ثم أتى مع الخوارج إلى أن اجتمعوا عند الكعبة في الحرم بعد مقتلة النهروان لما قاتلهم علي بن أبي طالب ﷺ، ثم اجتمعوا ثلاثة ومعه التميمي وآخر، فقالوا: ألا ترون ما فُعِل بإخواننا؟ ألا نثأر لهم؟ قال ابن ملجم: أنا عليَّ عليّ.

ماذا يريدون؟ يريدون أن يقتلوا أئمة الكفر، تدرون من يقصدون بأئمة الكفر؟ هم: علي بن أبي طالب ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ وعمرو بن العاص ﷺ، هؤلاء أئمة الكفر عندهم لأنهم كفَّروهم.

قال ابن ملجم: أما أنا عليَّ علي، وقال الآخر: أما أنا فعليَّ معاوية، وقال الثالث: أما أنا فعليَّ عمرو.

فذهب الأول عبد الرحمن بن ملجم فمكث مدة، فأتى إلى شاب من الشباب وما زال به يغويه حتى أتى معه، ثم أخرج له دفينة قال: هل لك بخيري الدنيا والآخرة.

قال: وما ذاك؟ قال: قتلُ عليّ.

قال: يا هذا انظر وأبصر ماذا تقول؟ ألا تعلم سابقته للإسلام، ألا تعلم شهادة رسول الله ﷺ له بالجنة، ألا تعلم منزلته من رسول الله ﷺ. فبدأ يذكره بفضائل علي بن طالب ﷺ.

سكت بن ملجم فإذا به قد ألجم الشاب وما هي إلا أيام إلا وإذا بالشاب يشحذ سيفه معه، فأتى هو والشاب ليقتلون عليّ ﷺ مع أن الشاب ناقشه ولكنه فتنه فأصبح معه، فأول ما بدأ بدأ بالشاب جعله هو الذي يهجم على عليّ ﷺ فضربه علي ﷺ فإذا بسيفه قد عدى عليه ثم إذا به يأتي إلى علي ﷺ وقد تمكن من مفرق رأسه فضربه بالسيف، قال: قد شحذته أربعين يوما والله لو ضربت به جمل لسقط وعلي ما سقط ما مات إلا ثاني يوم.

قال: لئن حييت فأنا له وإن مت فاقضوا فيه بشرع الله.

فلما أرادوا قتله قال: اتركوا لساني ...!

انظر بعض الناس يغتر ببعض الخوارج إذا سمعه ذكر الله أو ذكر شيئا من ذلك، هم خوارج. الخارجي عبد الرحمن بن ملجم يقطعونه وهو يقول: اتركوا لساني. لماذا؟ يقول: أذكر به ربي.

وهو لا يزال يردد الذكر والتكبير والتهليل حتى قُتل.

قاتل مَن؟ قاتل علي بن أبي طالب ﷺ.

لا تغركم بعض الأعمال الظاهرة، الخوارج خوارج، فالعبرة ليست بكثرة العبادة ولا البكاء ولا آثار الأعمال، إنما العبرة بصحة الاعتقاد وسلامة المنهج.

ألم يقل ابن عباس- رضي الله عنهما -: أتيت لقوم لهم بالقرآن دوي كدوي النحل، جباههم كركب الماعز من الصلاة.

ماذا قال النبي ﷺ في الخوارج؟ «كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار».

أما الذي ذهب إلى معاوية ﷺ أصابه في لحم في استه، فلما أصابه فأتوا بالعلاج له فقالوا: إنه مسموم. قالوا: لك السقاء أو الكي بالنار. قال: لاطاقة لي بالنار. قالوا: فإن السقاء يقطع الولد. قال: في يزيد و أخيه كفاية. فشرب الدواء فبرأ وما أنجب.

ثم اتخذ المقصورة لأنه لما أراد أن يقتله قاتله فمُسك من الناس فقال: هل لك ببشارة. قال: وما هي؟ قال: قتل علي. قال: وما يدريك أنه قُتل؟ قال: اتفقنا على ذلك.

اتفقوا فيما بينهم، خططوا، ورتبوا، وأموال، ودعم، وبذل ...، الاغتيالات وسنتها ما هي جديدة؛ بل قديمة من فِعل الخوارج. فماذا قالوا ؟ اتفقوا على فجر ثالث جمعة من رمضان القادم.

تخطيط، يوم واحد، فجر ثالث جمعة من رمضان القادم فانصرفوا من الحرم وتعاهدوا وتبايعوا على ذلك؟

انظر بيعاتهم وتعاهدهم مثل ما مسكوا قبل أربع سنوات مسكوا في الحرم، وقبلهم أيام جُهيمان ومن معه ألم يكونوا في الحرم؟! كل هؤلاء اتخذوا أعظم الأماكن ليفعلوا أبشع الأفعال ويتقربوا بها إلى الله ﷻ، انظروا كيف يزين الشيطان للناس الضلال والانحراف باسم الدين.

فماذا حصل؟ قال لهم: قد قُتل علي، قالوا له: لعله قد اتخذ الحرس. قال: إنه لا يتخذ الحرس. عندهم دراسات، فمن ذلك التاريخ أصبح الخلفاء يتخذون الحراسة في الصلاة، فماذا صنع معاوية ﷺ؟ بنى له مقصورة في الجامع الأموي أي مكان خاص يأتي يصلي فيه في الحراسة، فأصبح ملوك وحكام المسلمين يصلون الصلاة بالحراسة بسبب فعل الخوارج.

أما عمرو بن العاص ﷺ فوُعِك ذلك اليوم و لم يصلِّي الفجر فصلَّى بهم خارجة وهو رئيس الشرطة في مصر، فلما صلَّى بهم فإذا بالخارجي يقتله فمُسك، فلما أتى من الضحى فإذا عمرو بن العاص ﷺ يأتي

للرجل فالناس تحييه بتحية الأمير ، قال الرجل : إذا مَن قتلت؟ قالوا : قتلت خارجة رئيس الشرطة . فقال له عمرو ﷺ : أردتَ عمرًا وأراد اللهُ خارجة .

فانطلقت مَثَلًا ، الكلمة هذه انطلقت مَثَل : أردت عمرًا وأراد الله خارجة . يعني أردت تقتل عمرو والله ما أراد أن يُقتل عمرو .

انظروا ماذا فعل هؤلاء؟ و هم حفظة ، يقرأون القرأن ، ولكن دائما من يتخذون القرآن مصيدة ليصطادوا به الأجيال ويحرفوهم ؛ فهؤلاء أهل فجور في القرآن وفي فهمه .

المتن : (« فينظر الرامي إلى نَصْله إلى رِصافه فيتمارى في فُوقه هل علق به من الدَّم شيء » أخرجاه) .

الشرح : يعني **« فينظر الرامي »** اكتبوا عندكم : **« الرامي »** كما في الرواية : **« فينظر الرامي إلى نَصْله إلى رِصافه .. »** وهذا ما يُشعر به نفس السهم عندما يُرمى ، **« فيتمارى في فُوقه »** يعني : موضع الوتر منه ، عندما يمسك السهم له رأس وله ريشة فلا يعلق به شيء ، الحين الصيدة لما تُرمي عليها يدخلها ويخرقها السهم وتراه ما كأنه أتاها شيء ، يعني ما علق فيهم من الإسلام شيء ، دخلوا وخرجوا منه – مرقوا – ما في شيء علق فيهم منه من أمور الإسلام ، فقد مرقوا منه حتى أن موضع الوتر لم يبق فيه من أثر كالسهم عندما يُرمى حتى الدم الذي أصاب الصيد وخرج منها لم يبق فيها شيء ، وهذه حُجَّة من يرى كفر الخوارج لأنهم مرقوا من الإسلام ولا يعودون فيه إلا أن يعود السهم إلى فوقه ، يعني السهم يرجع على وراء– يا إخوان يا طلبة العلم– السهم يرجع؟! ما يرجع ، حتى لو رجع السهم يرجع سليم؟! ما يمكن لأن مدخله دقيق ومخرجه ، كما خرج وما علق فيه شيء . **« فيتمارى في فُوقه هل علق به من الدَّم شيء »** يعني يتمارون في محل موضع الوتر ما علق فيه شيء أبد .

وفي رواية : « يقرأون القرآن رطبًا » يعني عندما يكون في قرائتهم للقرآن ، يعني ينفتن السامع عندما يقرأون ، فتنة ، يقول أتيت قوما لهم بالقرآن دوي كدوي النحل ، انظر لما تأتي المسجد للجمعة والعالم تصلي وتقرأ القرآن فلهم دوي مثل لما تأتي للمنحلة وتسمه صوت النحل ، فأنت تدخل المسجد تجد الناس كلها تقرأ القرآن حاول تركز معهم ما تستطيع ، لأن دوي القرآن يلج المسجد بذكر الله ﷻ .

هذا في مكان كان يلج بقرآن لا يجاوز حناجر القوم ، لا إله إلا الله!

آلاف ، يقال كان عددهم اثنى عشر ألفا ، رجع منهم أربعة آلاف .

المتن : (وكان ابن عمر– رضي الله عنهما– يراهم شرار الخلق ...) .

الشرح : وهم كما قال النبي ﷺ : « هم شرار الخلق » « شر قتلى تحت أديم السماء » ، وبشَّر من قتلهم ، ومُبشَّر من قتلوه ، يعني هم في خسارة من الناحيتين .

المتن: (... وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين).

الشرح: يعني على الصحابة ﷺ ينزلون عليهم آيات من القرآن، وهذا في البخاري: أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين، هذه الرواية في البخاري ومسلم. ونزَّلوها على المسلمين نزَّلوا الآيات التي نزلت في الكفار على المسلمين ويدَّعون أنهم على الصواب وعلى الحق، وينطبق في هؤلاء قول الحق- تبارك وتعالى -: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [سورة الكهف:١٠٣، ١٠٤].

والله أذكر كثير من الخوارج لما نبَّه الشيخ محمد أمان الجامي-رحمه الله- والشيخ ربيع بن هادي المدخلي- حفظه الله- والمشايخ ينبِّهون أيام أزمة الخليج وينبِّهون على كثير من المسائل، فهؤلاء الخوارج عندما يأتون بعض المساجد ليلقوا المحاضراتهم وإذا بالأئمة ينزِّلون عليهم آيات: ﴿ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ ... ﴾ [سورة الأحزاب:٦٠] ويرددون هذه الآيات ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ ... ﴾ [سورة الأحزاب: ٦١] ويقصدون بها العلماء!!

فينزلون آيات نزلت في المنافقين النفاق الصريح على علماء السنة!! بل محاضرة كاملة بعنوان: (المرجفون في المدينة) وينزلوا المعاني على علماء السنة على علماء العقيدة الذين فضحوا خوارج العصر، فضحوهم عرُّوهم للناس ومخططاتهم وكيدهم، فضحوهم فضيحة، وانتبه الكثير من العلماء وانتبه كثير من الحكام وانتبه كثير من شعوب العالم الإسلامي لتضليل هؤلاء المضلين أتباع الفرق، الذين وقعوا في تكفير الحكومات وتكفير العلماء وفضحتهم تلك الأحداث. فينزلون آيات النفاق على علماء التوحيد والسنة!

المتن: (وللترمذي وحسَّنه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «من سُئل عن علم فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»).

الشرح: وهذا إسناده صحيح كما ذكر الشيخ ناصر الدين الألباني- رحمه الله - في المشكاة برقم (٢٢٣).

قوله ﷺ: «من سُئل عن علم فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» أي أن الذي يكتم الحق ملجوم، لماذا يكتم الحق؟ جزاء الذي يكتم الحق أن لجامه من النار، أنه يلجم من النار عذاب الله ﷻ؛ لأنه عرف الحق وكتمه، يوجد كثير يعرفون الصواب ولكن أتباع الدَّهماء: ماذا تقول الناس فينا؟! الناس يتركوننا، الناس ما يجون عندنا، بعدين ما يحضر عندنا أحد...!!

تتكثر بالباطل أم بالحق؟ عليك أن تُلقي الحق وهداية الخلق بيد الله ﷻ، عليك أن تبين للناس بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

وأما دعاة الضلال والانحراف فما أكثر من يتبعهم ، دعوات الشبهات والشهوات .

ليأتي تالي يتلو القرآن ويعلم السنة ويأتي صاحب طبل بطبلة تجد الذين يجتمعون على صاحب الطبل لا عدَّ لهم ولا حصر ، فالناس تتبع الشهوات ، تتبع الأهواء ولكن الحق المبين لا يأتيه إلا الموفق من عباد الله والصالحين .

المتن: قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى –: (باب إثم من رايا بالقرآن ، عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أوّل الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل. ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قاريء، فقد قيل. ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل. ثم أُمِر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار» رواه مسلم).

الشرح: هذا الباب: (باب إثم من راءا بالقرآن) وأتى بالياء أي بالتحتانية، وأتي بالهمز أي: راءا، والأكثر في الرواية على الياء: (من رايا).

والرياء هو: مراءاة الغير بعمل الخير مما يُقصد به وجه الله ﷻ.

وسمي الرياء رياءً لأنه مما يُرى؛ أي مما يُشاهد، أي يفعل الشيء ليراه الناس، ونُصَّ على الرؤية لأنها الحاسة التي يرى الناس فيها أفعال الناس، ولكن أيضًا هناك في قوله ﷺ: «مَن سمَّع سمَّع الله به»، هذا أيضًا في ما يتعلق بالسمع، الرياء، من تسميع الناس، فهنا يبلغ حاسة السمع، وأيضًا البصر، ولكن الأكثر على استعمال الرؤية فسمي رياء؛ لأن غالب ذلك في ما يتعلق فيما يُرى من الناس فسمي الرياء، فالذي يتعلق بالسمع يقال له رياء، والذي يتعلق بما يُشاهد يُقال له رياء وهكذا. إذًا هنا الرياء ذنب عظيم.

ما هو الأمر الذي خافه النبي ﷺ على الصحابة ﷺ ؟ الرياءكما في الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي».

من الخائف هنا ؟ النبي ﷺ.

ومن هم المخوف عليهم ؟ الصحابة ﷺ.

فماذا نقول نحن على أنفسنا ؟

يقول الشيخ حمد بن عتيق – رحمه الله – وهو من أحد العلماء ممن شرح كتاب التوحيد، وله كتاب أيضًا اسمه: (إبطال التنديد باختصار تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد) لما علّق على هذا قال: فإذا كان الشرك الأصغر مخوفًا على الصحابة ﷺ مع كمال إيمانهم فإنا نخاف على أنفسنا من الأكبر مع نقص إيماننا.

إذن (باب إثم من راءا بالقرآن) ما هو وجه المراءاة به؟ السمعة ، الشهرة ، ثناء الناس ، امتداح الناس .

كم نوع ؟ أنه راءا ، السمعة ، الشهرة ، والثناء ، والمدح .

وهذا من أعظم ما يصيب الصالحين ، هذا من أعظم ما يزاحمهم في أعمالهم ، في إنفاق الأموال .

انظروا هنا ضرب المثل بكم ؟ بثلاثة أمور .

أبو هريرة ﷺ لما روى هذا الحديث لمعاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما– بكى معاوية ﷺ بكاءً شديدًا جدًا ، حتى أُشفق عليه من شدَّة فَرَقه وخوفه من هذا الحديث ، وهوحديث عظيم له منزلة .

ثم نجد أن هذا الحديث تناول أعظم الأعمال ، يعني أشياء من أعظم الأعمال ، ولكن لأن الأمر يتعلق بالتوحيد ، الإخلاص ، هل عملت هذه الأعمال لوجه الله أو لغير ذلك ؟

سنستعرض هذا الحديث ونرى لأي شيء كانت ؟

المتن : (عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : . . .) .

الشرح : طبعا الصحابي ﷺ لما يقول : (سمعت) هذه من أعلى درجات التحمل في الرواية ؛ لأنه حاضر سامع ، بخلاف عندما يقول الصحابي ﷺ : (قال رسول الله ﷺ) ربما قد سمع ممن؟ من أحد الصحابة ﷺ ، فكلهم عدول ينقل بعضهم عن بعض دون ذكر عمَّن رواه ، لكن عندما يقول الصحابي ﷺ : (سمعتُ) فهذا دليلٌ على أنه هو الذي سمع ، وأحيانًا تجده يقول : (حدثنا رسول الله ﷺ ورأيته) معناه أنه كان حاضر وقريب مُشاهد ، وأحيانًا تجده يقول : (سمعته أذناي ورأته عيناي ووعاه قلبي) ، ولربما أحدهم قال هكذا . . . يعني : سمعته ورأيته وقلبي وعاه ، يعني حاضر بجميع الحواس .

المتن : (عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أوَّل الناس يقضى يوم القيامة عليه . . . ») .

الشرح : « إن أوَّل الناس . . . » طبعًا في أحاديث الأوليات يأتي « أول من يُعذَّب . . . » ، أو « أول ما يُقضى بين الناس في الدماء » ، « أول ما يحاسب عليه الناس . . . » في أعمالهم كذا ، الأمور كلها تأتي بعد مسألة التوحيد ؛ لأن أهل الشرك لا يكونوا في مثل هذه الأمور ، فهم أصلا ممن كُبُّوا على وجوههم في جهنم – نسأل الله السلامة – لكن من خلط عمل صالح وعمل غير صالح هم ممن يكونوا كذلك .

المتن : (عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أوَّل الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . . . ») .

الشرح : هذا رجل استُشهد ، جهاد في سبيل الله ، وممن عُلم أنه قد قتل في المعركة ، فعرَّفه الله نعمه التي امتن بها عليه .

المتن: «إن أوّل الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟...»).

الشرح: عرَّفه نعمه الخاصة التي أنعم بها عليه، كلٌّ منا أنعم الله عليه، أنعم الله عليه في العافية، أنعم الله عليه في البصر، أنعم الله عليه في السمع، أنعم الله عليه بالقدرة على الكلام، أنعم الله عليه بالمشي وغيرك مشلول، أنعم الله عليك بمال وغيرك فقير، نِعَم، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]، نِعَم كثيرة، وهذه النِّعم في المقابل لا بد للعبد أن يكون من الشاكرين.

فهنا يقول: «ماذا عملت..؟» يعني: ماذا صنعت بهذه النِّعم التي امتننت بها عليك؟

المتن: «... قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت...».

الشرح: هنا أتى بما قد عمل، وآخر ما عمل هذا العمل وهي الشهادة، فقال: «قاتلت فيك حتى استشهدت».

المتن: «... قال: كذبت...».

الشرح: الله أكبر!

المتن: «قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل...».

الشرح: الله المستعان، مَن الذي قال له «كذبت»؟ الله - تبارك وتعالى - يقول لهذا لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[البقرة:١٤٠]، فهو الذي يعلم خافيك، ويعلم ما فيك، ويعلم ما تكن الأنفس، ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].

«فيقول له كذبت»، فعندما يقول الله ﷻ لعبدٍ من عباده أنه كذاب، ماذا سيقول هذا العبد؟ ليس له جواب؛ لأن الله ﷻ هو الذي يعلم خافيه وما فيه، ويعلم مقصده.

قال: «ولكنك قاتلت حتى يقال جرئ» يعني: شجاع.

قد سُئل النبي ﷺ: الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ثم ذكرت له عدة نوايا ومقاصد، أيٌّ ذلك في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

المتن: «ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار...».

الشرح: نسأل الله السلامة، انظروا غرَّه بالله الغرور، وواصل في تلبيسه إلى آخر ما يستطيع من ألوان التلبيس، إلى أن كانت المواجهة، وسأله الله كفاحًا، ومستمر على كذبه، فيُجاب له بالجواب الذي يستحق فيقال له: كذبت، ثم يُسحب، انظروا! يُسحب إلى النار - نسأل الله السلامة، حمانا وإياكم، نسأل الله لطفه، نسأل الله لطفه - فالصدق والإخلاص من أعظم الأمور، لا بد للإنسان أن يجاهد نفسه.

كما يقول البعض: إن النفوس لتحدثنا ببعض مطامع الدنيا أو ثناء الناس أو ما يحصل...

نعم، جُبلت النفوس على حبِّ الثناء، نحن بشر، نحن بشر ولا شك إذا أُثني على الإنسان أنه يفرح به، لكن إياك أن تفرح وأن تمدح بما لم تفعل، أو تتلون، أو تتصنع، أو تفعل الفعل حتى تمدح به، ولكن إن فعلت لله وأُثني عليك خيرًا كما قال النبي ﷺ للصحابي قال: يا رسول الله إني أعمل العمل وأُرى عليه فأجد في ذلك في نفسي. قال ﷺ: «تلك عاجل بشرى المؤمن». عملت العمل لله ما همَّك الناس، ولكن بلغ الناس عملك الطيب وصنيعك الحسن فذكروك بخير، لم تفعله قصدًا وابتداءً من أجل أن يُقال.

انتبهتم.

لأن بعض الناس أحيانًا ربما يترك العمل الصالح حتى لا يقول الناس أو يراه الناس، هذا غلط؛ فترك العمل من أجل الناس لا يجوز، وعمل العمل من أجل الناس لا يجوز؛ إنما تعمل العمل لله وليكون قصدك وجه الله، وما يأتي للناس «فتلك عاجل بشرى المؤمن»، وهم شهداء كما قال النبي ﷺ في الجنازة التي مرَّت وذُكرت بخير، فماذا قال النبي ﷺ؟ قال: «وجبت، وجبت، وجبت». والأخرى قال: «وجبت». لما ذكروها بسوء، قالوا: يا رسول الله! مرَّت الجنازة الأولى فقلت وجبت، ومرَّت الثانية فقلت وجبت. قال ﷺ: «الأولى شهدتم لها بخير فوجبت أي الجنة، والثانية شهد لها بسوء فوجبت أي النار، أنتم شهداء الله في أرضه».

والإنسان ينبغي له أن يخلص لله؛ لأن الأنسان في نظر الناس ربما يُرى على خير وهو على شر – حمانا الله وإياكم، يكفينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا –، وبعض الناس قد يُرى على شر وهو في الحقيقة على خير ومن أهل الخير، لكن لُـبِّس على الناس، والإشاعات، والإذاعات، وتشويه السمعة، يجيده جند الشيطان، فربما شُوِّهت سمعة من له في الناس خير وفضل على أنه من أسوأ الناس!

المتن: «... ورجلٌ تعلم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قاريء، فقد قيل. ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار...».

الشرح: هذا الثاني، عالم وقارئ حصل منه هذا الفعل من أجل...، نفس مقصد الأول، ضابط لرسمه، قارئ له، مخرج؛ لكن لا يعمل بموجبه ولا يمتثل ذلك، إنما لأجل الناس، يحسِّن صوته بالقراءة ابتداءً من أجل الناس، ويتأكَّل به كما سيأتي في باب مستقل في ذلك.

ولا بد أيضًا في مثل هذه الأمور من المجاهدة، وكثرة المجاهدة للنفس من أعظم أسباب دفع الرياء،كثرة المجاهدة تدفع الرياء بإذن الله، جاهد نفسك، علِّم نفسك الخفاء، علم نفسك السِّرية؛ اجعل لك دائمًا أعمال خفية سرية ما أحد يدري عنها، اكتُم، ربما تكون عندك ضعيفة من بنات عمك أو من بنات خالك ومسكينة وأرملة أنفقت عليها لا تخبر أحد، عندك يتيم لا تخبر أحد، تصدقت على مسكين لا تخبر

أحد ، صمت يوم لا تخبر أحد ، قمت في الليل لا تخبر أحد ، لك ورد من القرآن لا يدري عنك أحد .
بعض الناس إذا صام يبّس شفايفه لأجل أن يعلم كل الناس يدري أنه صايم ، وإذا قام في الليل رفع صوته حتى يعلم من بجانبه أنه قائم ، أو إذا ذهب قال : أنا على وضوء . حتى تدري الناس أنه كان يصلي ، فهو مريض بالإعلان عن عمله .

يقال أن رجلا كثير الرياء ، ويعرفون الناس عنه ، فوجد شخص لا يعرفه ، وكان هذا الرجل كثير الرياء صائم ذلك اليوم ، فقابل صاحب له لا يعرف عنه أنه صائم فقال له : أما ترى يا فلان أن الناس يتهمونني بالرياء – وهذا في وقت بعد صلاة العصر– يتهمونني بالرياء أني أفعل ، أرائي ، وأفعل من أجل الرياء ، وتصدق اليوم صائم ولا أخبرت أحد !

ما يصبر! متعود ! أنا اليوم صائم وما أحد يدري عني أني صائم ، ويتهمونني أني مرائي ، وأني أفعل الأعمال من أجل أن يذكرها الناس! في بعض الناس ما يصبر ، لأنه فرق بين من يعمل لله ومن يعمل لغير الله ؛ فمن الناس من يعمل من أجل الناس ، خاصةً وبلينا اليوم بوسائل الإعلام فتجد بعضهم نحن عملنا كذا وهذه الصورة ، وفعلنا كذا وهذه الصورة ، والصورة والله شاهدة عليهم ليست شاهدة لهم ، يقول حفرنا عشر آبار والبئر هي نفسها ومسميها هنا اسم وهنا اسم والصورة واحدة ، فهو يفضح نفسه ، أو يأتي أنقذنا هؤلاء وأطعمناهم وإذا بـ... ، خاصةً تجد في أفريقيا صور يخرجونها – مع ما في الصور من حكم – إلا أنها مليئة صدور هؤلاء بالرقى والتمائم ، ويقول نحن ألبسناه وأطعمناه ، وعن الشرك ما أنقذتوه ؟! عن الشرك ما انقذتوه ؟!

إذًا ما هي الدعوة ؟ أليست دعوة الأنبياء والرسل إلى التوحيد كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦] .

فوسائل الإعلان اليوم أصبح الإعلام يزاحم المقاصد الصادقة مع الله ﷻ ، فتجد بعض الناس يرائي بأعماله ، وهذه إنجازاتنا...!

فرقٌ بين من يوثّق لأن يطمئن المعطي والمنفق لجهة معينة ، وفرقٌ بين مَن يقتات من خلال العروضات والإنجازات فيجمع أموال المحسنين ويصرفها في أفكار المؤسسين ، فيأخذ أموال المحسنين التي وجهتها لله وبالله وهو يصرِّفها على ما تنظيمه ، وفي حزبه ، وفي وجهته ، وفي فكرته ، فيجعل أموال الناس من أجل أن تخدم فكر معين ، أو نمط معين ، أو توَّجُه معين عنده هو ، فيستضعف الناس بالمال ، وبالمال تميل النفوس .

إذًا هذا قارئ القرآن ، وقبله من قُتل ، أما الثالث؟

المتن: « ... ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل. ثم أُمِر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار » رواه مسلم).

الشرح: هذ أيضًا تاجر منفق صاحب مال، انظُر الأوَّل صاحب سيف وجهاد، والثاني صاحب علم وقرآن، والثالث على هذا الحال، والنتيجة أن كل هؤلاء مما خالط أعمالهم الرياء.

هل معنى ذلك أن كل من عمل هذه الأعمال الثلاثة أنه كذلك ؟ لا.

ولذلك كل ما كان العمل ظاهر كل ما زاحم الإخلاصَ الرياءُ، وهذا ابتلاء،كل ما كان العمل ظاهر كلما زاحمه الرياء، أي زاحم الإخلاص الرياء، وهذا نوعٌ من الابتلاء؛ لأن من الأعمال ما هو ظاهر مثل: الصلوات في المساجد، إمامة الإمام في المسجد، ما يستطيع يصلي صلاة المغرب إلا جهرًا أمام الناس، فربما يأتي الشيطان فيزين صوته من باب ذِكر الناس له، وما أكثر القرَّاء ! بل إن من العلامات: كيف إذا كَثُر قراؤكم وقل فقهاؤكم ؟ وكثرة القراء مشاهدة؛ يقدِّمون من يغني بهم وهو من أقلهم علما ! ولكن لأجل أن صوته حسن. الإنسان يبتلى والمعالجة مطلوبة.

النبي ﷺ لما رأى أولئك مجتابي النمار الذين بلغ بهم الفاقة والفقر ما بلغ بهم، فحثَّ الناس على الصدقة، فإذا بالصحابي يأتي بيديه قد امتلأت صُرَّة من ذهب فطرحها بين يدي النبي ﷺ، فتتابع الناس حتى أصبح كومين من طعام ولباس فسُرِّي عن وجه النبي ﷺ كأنما هو مذهبة، فرح بذلك، هذه أعمال ظاهرة، والأول الذي فعل هذا العمل وتتابع الناس من بعده له أجر الجميع، لأن أنا أردت من هذه المسالة أن ننتبه ألا نترك العمل من أجل الناس، لو هناك أعمال صالحة لا بد أن تكون للناس ظاهرة، لا بد تكون ظاهرة، لكن يا من عملت هذا العمل جاهد نفسك واتق الله، جاهدها فربما تكون سبب خير للناس كباب الصدقة، وباب الإنفاق، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه شيء في العلانية ما تستطيع تخفيه، فالأشياء الظاهرة...، كما أن أحيانا ربما تكون في الخفا، تأمره في الخفا وتنهاه في الخفا، وتنكر عليه في الخفا، فيما بين الناس، وربما تكون الأمور ظاهرة معلنة، ولذلك ينبغي للإنسان دائمًا أن يجاهد نفسه لأنه يترتب عليها إثم العمل.

الرياء من أسوأ الأعمال، يفسد الأعمال، يبطل الاعمال؛ لأن الله - تبارك وتعالى — يقول: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عمل أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ».

اجعل أعمالك خالصة، عوِّد نفسك دائمًا، وهذا من أعظم أسباب الثبات وانشراح الصدور، وبياض الوجوه وسعادة الحياة، أعمالُ الخفاء؛ أن يكون لك أعمال خفية مع الله.

كما أن من أعظم أسباب: الانتكاسات، وشقاء الحياة، وسواد الوجوه، وظلمة النفوس والصدور، ذنوبُ الخفاء، الذنوب الخفية.

انتبه! فتلك من أعظم أسباب الثبات ، وهذه من أعظم أسباب الانتكاسات ، الذنوب الخفية ؛ خبيئه مع الله سيء ، فليكن خبيؤك مع الله حسن في أعمال صالحة لا يعلم أحد عنها ، وانتبه من أعمالك السيئة التي إذا خلوت وقعت فيها ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾[النساء:١] .

فيا طالب العلم! اتق الله في بصرك .

يا أيها المسلم! اتق الله في سمعك ، اتق الله في شهوتك .

وغالبًا ما يصاب الناس من جانب الشهوات ؛ في ميل النفوس ورغباتها ، بتجاوز ما حدَّ لها الشارع .

وأيضًا في جانب الشبهات ؛ في ما يتعلق بعقائد الناس وأديانها ، والوقوع في الأهواء والبدع فيما لم يات في كتاب ولا سنة .

انتبه! وكلها مزلة قدم .

فأهل الرياء من أسوا الناس سلوكًا ؛ لأنهم جعلوا مع الله غيره من أجل ثناء الناس ، فلم يفرحوا بوعد الله ووعيده ؛ إنما فرحوا بثناء الناس وحظوظ أنفسهم وحظوة الدنيا الزائلة ، فاستبدلوا الذي أدني بالذي هو خير .

المتن : (باب إثم من تأكَّل بالقرآن ، عن جابر- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال : «اقرؤوا القرآن وابتغوا به وجه الله ﷻ قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجَّلونه ولا يَتأجَّلونه » رواه أبو داود ، وله معناه من حديث سهل بن سعد ﷺ .

الشرح : هذا بالنسبة لما يتعلق بالرياء ، أعمالهم من أجل الرياء ، ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[النساء:١٤٢] .

ولذلك يقول النبي ﷺ كما في البخاري ومسلم : « من سَمَّع سَمَّع الله به ... » .

لما انتهى من جانب الرياء أتى من جانب آخر وهو أيضًا من مقاصد النفوس التي تميل إليها وتسعى إليها أنها اتخذت القرآن وسيلة لحصول شيء آخر ، وهذا الصنف ممن يتأكَّل بالقرآن ، والمتأكِّلة بالقرآن - لا كثَّرهم الله – كُثُر ؛ لأنهم جعلوه وسيلة ؛ يعني يقتات من خلاله .

في بلد من البلاد شخص صوته جميل جدًا ، وجالس في زاوية يقرأ ويردد والناس تمر وتعطيه أموال ، فهذا يقتات بماذا ؟ يقتات بالقرآن .

آخر يقرأه في المناسبات ويحدد الساعة كم ؟ كم المدة ؟ سواء في عزاء أو في فرح ، يأتون بالقراء في العزاء ويقرأ ، ومحسوبة الساعة بكذا ، ويقرأ لهم ، ولهؤلاء قصص عجيبة حتى أن أحدهم في عزاء لم يعطوه من المال فأصبح يقرأ الآيات التي في العذاب! لا يبالي ؛ هو صاحب مال ، لا يهمه القرآن لأنه يقتات به .

كذلك أصبح نوع من أنواع الاقتيات : يسجِّل له شريط ويبيعه ، يقتات بالقرآن .

لا ، وبعضهم يسجِّل حلقات ، والحلقة بقيمة ، ويفاوضون فيها ويساومون فيها وهكذا .

بخلاف تعليم الناس ، ويعطى . . . ، بل بعضهم يجعل دور للقراءة على الناس ، فرق بينه وبين مَن عرض له عارض ، وجُعِل له جُعل .

لا ، إنما يجعل له مكان ، ويجعل له مقصد للناس ، فيتقوتون بماذا ؟ بالقرآن ؛ كالقرَّاء وغيرهم ، ولذلك هذا حال كثير من القرَّاء إلا ما رحم الله ، فإذا فسد مثل هؤلاء – الله المستعان – كما قال ابن المبارك : يا معشر القرَّاء يا مِلح البلد ما يُصلح الملح إذا الملحُ فسد .

ولكن كيف بكم في زمان يصبح قراؤكم أكثر من فقهائكم ؟

فهم يتأكَّلون به ، يعني : طلب الأكل . كما ذكر ابن حجر في الفتح ، أي : طلب الأكل ، يقتات به ، لأنه كما قال تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾[الإسراء:١٨] ، وقال أيضًا : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾[القيامة:٢٠] . يتأكَّل بالقرآن ويقتات به ، فجعل القرآن وسيلة لأن يقتات من خلاله بجميع أصناف الاقتيات .

المتن : عن جابر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : «اقرؤوا القرآن وابتغوا به وجه الله ﷻ . . . » .

الشرح : يعني اجعلوا غرضكم لوجه الله ﷻ ، أخلصوا ؛ لا يكن غرضكم شيئًا من ذلك ، لا تبتغوا به شيئًا آخر ، ابتغوا وجه الله ﷻ .

المتن : «اقرؤوا القرآن وابتغوا به وجه الله ﷻ قبل أن يأتي قوم . . . » .

الشرح : « قبل أن يأتي قوم . . . » عندكم في النسخة يوم ؟ صحِّحوا النسخة .

المتن : «قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح . . . » .

الشرح : « القِدْح » اكسر القاف وسكِّن الدال ، يعني : السهم .

يعني تجد قراءته صحيحة ، لكن غرضه غلط ، قراءته كإقامة القِدْح مستقيم فيها تمام ، ولكن مقصده سيء جدًا ؛ لا يريد به وجه الله ﷻ .

قوله ﷺ : **«يتعجَّلونه ولا يَتأجَّلونه»** ، « يتعجلونه » أي : في أمور الدنيا ومصالحها وما فيها ؛ يعني يجعلون أجرته دنيوية لا أخروية ، يعني لا يريدون الأجر من الله ﷻ ، كما ذكر سبحانه : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء:١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ [القيامة:٢٠] ، ولكن لا شكَّ أن ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى:١٨] ، لمن كان غرضه لله ويريد وجه الله . أما من يريد العاجلة فقد تعجَّلها ويؤتاها لا شكَّ ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾

[البقرة:٢٠٠] ، وقال أيضا: ﴿ وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى:٢٠] ؛ لأنه تعجَّل غرضه في الدنيا .

المتن: (رواه أبو داود ، وله معناه من حديث سهل بن سعد ﷺ) .

الشرح: هذا الحديث رواه أبو داود ، أما حديث سهل بن سعد ضعيف فيه ابن لهيعة ، أما الحديث حديث جابر ﷺ فهو صحيح ، صححه الشيخ ناصر في السلسلة (٢٥٩) .

قال: « وله معناه من حديث سهل بن سعد » هذ ضعيف فيه ابن لهيعة ، قال بعدها: « وعن عمران . . . » .

المتن: (وعن عمران ﷺ أنه مرَّ برجل وهو يقرأ على قوم . . .) .

الشرح: « أنه مرَّ برجل وهو يقرأ على قوم . . . » ، النسخة التي عندكم فيها أكثر من سقط .

المتن: (وعن عمران ﷺ أنه مرَّ برجل وهو يقرأ على قوم فلما فرغ سأل . . .) .

الشرح: « فلما فرغ سأل » ما هو بـ: سأله ؛ « سأل » يعني قال اعطوني ، فرق بين سأله وسأل بدون هاء .

« سأل »: سين ، ألف مهموزة همزة علوية ، ولام . يعني تسول ، بعد ما قرأ قال للناس اعطوني .

المتن: (فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون . . .) .

الشرح: استرجع لأنه رأى ما قد حذَّر منه النبي ﷺ ، هذا صنف ممن حذَّر منهم النبي ﷺ يقرأون ويتعجلون .

المتن: (فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله – تبارك وتعالى – به ، فإنه سيجيء قوم يقرأون القرآن يسألون به الناس » رواه أحمد والترمذي) .

الشرح: والرواية « يسألون الناس به » وهو في الترمذي وإن كان في إسناده مقال ، على كلٍّ كلُّ هؤلاء ممن يريد العاجلة ، كلُّ هؤلاء تعجلوا ، كل هؤلاء اقتاتوا بالقرآن ، وذكرت لكم أنواع ممن يقتات بالقرآن .

المتن: (باب الجفاء عن القرآن) .

الشرح: (الجفاء عن القرآن) ، لأنه ذكر وصفين: الغالي ، والجافي .

الجافي: هذا الذي لا يبالي به ، لا يبالي بالقرآن .

سمرة بن جندب الفزاري ﷺ مِن آخر مَن توفي من الصحابة ، توفي سنة ثمانية وخمسين ، سكن البصرة ، وكان زياد يستخدمه عليها إذا سار للكوفة ، ومعروف عن سمرة بن جندب ﷺ أنه شديد على الخوارج ، فإذا أتاه الرجل من الخوارج قتله ، وكان يقول: هم شر قتلى تحت أديم السماء . فإذا أتي بواحد منهم قتله ، وله ترجمة ارجعوا لها في (أسد الغابة) وغيره من الكتب التي دونت في تراجم الصحابة ﷺ .

هذا حديث الرؤيا الطويل مرفوع ، وذُكر فيه أصناف من العذاب ، وذُكر فيه بعض البشائر ، وذُكر فيه أشياء طويلة ، وهو حديث صحيح ، منه ما في البخاري ومنه في مسلم ، وبعضها زيادات ، وبطوله موجود في (الترغيب والترهيب) للمنذري ، وصحَّحه الشيخ الألباني- رحمه الله - في بعض الزيادات التي فيه على ما أتى في الصحيحين .

المتن: (قال: «أتاني الليلة اثنان فذهبا بي قالا: انطلق . وإني انطلقت معهما ، وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة على رأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا ، فيتبع الحجر فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى ، فقلت لهما: سبحان الله ما هذا؟ قالا: هذا رجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل و لم يعمل فيه بالنهار يُفعل به إلى يوم القيامة » وفي رواية: «الذي يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة » رواه البخاري) .

الشرح: هذا في المنام ، وهما ملكان ، قوله ﷺ: « فذهبا بي » أي: إلى النار ، رأى في المنام قوم يعذبون ، وقيل أهل البرزخ . والنبي ﷺ رُؤي له وعُرض له أهل الجنة وأهل النار ، كلها عُرضت له ، وليس معنى هذا كما يفهمه من لا فهم له بأنه دخول في النار ؛ إنما هذا عُرِض أهل النار ، يعني أهل العذاب ، فوصف حالهم الذي رآهم فيه في المنام .

« انطلق ، انطلق » فانطلق معهم وذهب معهم وهو لا يدري أين ينطلق؟ ولكنهم كانوا يُطلعونه على أمور فيقول: « سبحان الله ما هذا ؟ ما هذا ؟ » فجملة من أنواع المعذبين .

هنا ذكر الشاهد فيما يتعلق بهذا الذي يُعذب وهو تارك القرآن ، رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة يعذبه ، يهوي بالصخرة على رأسه يعني من علو - حمانا الله وإياكم - من علو على رأسه فيتهدهد ، وقيل فيتدهده ، أتى في روايتين ، أي رأسه ينثلغ من الفضخ ، يعني ينفضخ رأسه فيصبح عدة شظايا - حمانا الله وإياكم - نعوذ بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، فالحجر من شدة الضربة يتدهده ، فيذهب ذلك الذي قد رماه به فيجمعه فيعود حجرًا كاملا ، فيأخذه مرةً أخرى فلا

يرجع إليه إلا ورأسه الذي قد أصبح شظايا عاد كما كان ، لا إله إلا الله ، نسأل الله السلامة ، ذُكرت هذه العقوبة الشديدة لأنه جُرم شديد ، نسأل الله أن يكفينا شرور أنفسنا ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

« فقلت لهما : سبحان الله ما هذا؟ » يعني ما هذا العذاب الشديد؟ ما هذا الجزاء؟ ما هذا الفعل الذي كان عقوبة هذا الفاعل لهذا الأمر؟

(قالا : هذا رجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل و لم يعمل فيه بالنهار) يعني ليس من أهل الصلاة ؛ لأن القرآن إما حُجَّة لك أو حُجَّة عليك ، إما قائد لصاحبه إلى الجنة ، أو دافع له إلى النار ، فإن كان من العاملين قاده ، وإن كان من أمثال هذا حصل له كما حصل لهذا .

المتن : « فقلت لهما : سبحان الله ما هذا؟ قالا : هذا رجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل و لم يعمل فيه بالنهار يُفعل به إلى يوم القيامة » .

الشرح : يعني العذاب مستمر ، يجمع الحجر ويرجع رأسه ويعود ، يجمع الحجر ويرجع رأسه ويعود وهكذا – إنا لله وإنا إليه راجعون – هذا لأنه جافٍ فيه ، لم يحكِّمه على نفسه ، ولا في أعماله ، ولا في أقواله ، ولا في سلوكه ، ولا في أخلاقه ، ولا في حلاله ، ولا في حرامه ، ولا في سفره ، ولا في إقامته ، ولا في ليله ، ولا في نهاره ، لا في عباداته ، ولا معاملاته ، لا في تحكيم أمر الله ، ولا في تحليل الحلال ، ولا في تحريم الحرام ، إذًا أخذه للقرآن ليس أخذ عمل ؛ إنما هو قد جفا فيه ، والحال المقابل له حال الخوارج أهل الغلو ، وسيأتي وصفهم ، سيعقد لهم باب مستقل في الخوارج .

المتن : (وفي رواية : « الذي يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة » رواه البخاري) .

الشرح : الله المستعان ، قوله : « سبحان الله ما هذا؟ » هذا في البخاري ، وما زاد فيه الرواية مما ورد في البخاري ومسلم .

المتن : (ولمسلم عن أبي موسى ﷺ أنه قال لقرَّاء البصرة : اتلُوه ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم) .

الشرح : لأنهم قد يتركونه ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان :٣٠] ، يعني يهجر ، أصناف كثيرة للهجر ، هناك هجر من حيث العمل ، ومن حيث الاعتقاد ، ومن حيث التداوي ، ومن حيث التشافي ، ومن حيث التحاكم ، أشياء كثيرة يتركها .

ينبغي لصاحب القرآن أن يُعرف بالقرآن ، يُعرف بأثره عليه ، بورعه ، بزهده ، بهمَّته ، بصحة عقيدته ، بقوة اتباعه ، بحقيقة استقامته ، يكون أثر القرآن واضح عليه ، ليس إذا أتى القراءة فإذا به قارئ وإذا نُظِر إلى أعماله ، وإلى عقيدته ، إلى عبادته ، إلى أفعاله ، نجد تناقض شديد! فهو مسكين هذا الذي أُتِي قراءة القرآن و لم يُؤت العمل بما فيه ، وضرب النبي ﷺ في ذلك مثل بأربعة أصناف من الثمار والأشجار :

قال ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب و ... » هو مؤمن ويقرأ القرآن ،

فجمع ماذا ؟ أنه مؤمن ، ويقرأ القرآن ، هذا شبَّهه النبي ﷺ بماذا ؟ بالأترجة لأنها طيبة ورائحتها زكية ، فهي ظاهر عليها الأثر وإذا دنا منها أيضا فيها الأثر .

« ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ... » لكن التمرة لها رائحة؟ لا ، إذا طعمتها وجدتَّ طعمها ، هو مؤمن لكن ليس من أهل المداومة على قراءة القرآن ، هذا الثاني .

« ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ... » منافق لكن يقرأ القرآن ، ريحانة ريحها طيب لكن طعمها مرّ .

والرابع : « المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ... » ما لها ريح ... لكن ... ، مجرد الإتيان فكيف الأكل؟ قطَّع أمعائه . جعلنا الله وإياكم كالمؤمنين الذين يقرأون القرآن ، آمين . إذن هنا ضرب مثل بهذه الأمثال لحال المؤمن والمنافق .

المتن : (ولمسلم عن أبي موسى ﷺ أنه قال لقرَّاء البصرة : اتلُوه ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم) .

الشرح : يعني استمروا على قراءته ولا تملوا ، كما ذكر ابن مسعود ﷺ – وذكرنا هذا الأثر في المجلس الأول– : اقرؤوا القرآن ، لا تنثروه نثر الدقل ، ولا تهذوه هذَّ الشِّعر ، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة .

المتن : (وعن ابن مسعود ﷺ قال : إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم فاخترعوا كتابًا من عند أنفسهم استَحلَته أنفسهم ...) .

الشرح : كثير من بعض الناس ما تعجبه الطريقة القديمة! قرآن وتعليم ، قرآن وتعليم .

يبغى يجيب شئ جديد! ملَّ! ملَّينا من هذه الطريقة! فيبغون طريقة ثانية!

مَن أكثر الناس علم ؟ أليس الصحابة ؟ ليس عندهم إلا القرآن وحديث النبي ﷺ .

واليوم كل الكتب ابحث ما تجد فيها إلا قال رسول الله ﷺ قال الصحابة ﷺ – عندهم كتب كثيرة – أو من معين الكتاب والسنة .

العلم قـــال الله قـــال رسوله ... قال الصحابة هم أولوا العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً ... بين الرســول وبين رأي فلان

هذا العلم ، ومع ذلك علمهم علم متين ، علم غزير ، علم فيه أسباب دخول الجنة ، وعلم فيه النجاة من النار ، علم فيه مراتب التقاة والإيمان ، علم فيه مراتب دخول الجنان ، علم غزير ، علم تام .

غيرهم انشغلوا بقيل وقال ، ومع ذلك ما أقلَّ الكتب في ذلك الزمان ، وما أكثرَ الكتب في هذا الزمان ، وما أقلَّ الكلام ذلك الزمان ، وما أكثر الكلام هذا الزمان ، ولكن الكلام كلما كان قريب من الوحي كلما كان فيه نور ، ولذلك يقول الحاكم : من حكَّم الكتاب والسنة على نفسه نطق بالحكمة .

وقال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنتي » فمن أراد الهدى

في غيرها ضلَّ إذًا و لم يكن من المهتدين .

أُشغل الناس اليوم بالبرامج والدورات والكلام ، وفن كذا ، وأسلوب كذا ، وطريقة كذا ، فتجد الناس انشغلت وانبهرت ، بل الآن أصبح يُمدح بهذه الشياء التي ليس فيها من نور الوحيين .

نعم ، هو متقن للبرمجة العصبية!

أي برمجة عصبية؟! علم الكلام ، علم ... ، كلام!

القباعات الست! اكتشف ذاتك!

لماذا ؟ أنا أين كنت؟!

اكتشف ذاتك! حرك العملاق!

أي عملاق ؟!

كلمات!!!

حرِّك الطاقة الكامنة! أنت فيك طاقة ما تدري عنها!

فيبدأ الاعتماد على الطاقة كأنما هي شئ خارج عن الوجود لها أثر في الكيان ، فتصبح هي التي تمد الإنسان بالمعرفة أو عدمها ، أو القوة أو عدمها .

أنت تستطيع تمشي على النار! لأن فيك طاقة فتمشي! وحدِّث نفسك أنك تمشي على الماء! جنون!

قد تمشي على الجمر ، وربما يحصل له شيء من (...) علم الكلام مع شعوذة مع تخريف .

والآن أصبحت أسلمة لهذه البرامج ، فيأتيك من يقول : قال الله تبارك وتعالى ، قال الرسول ﷺ ، ثم يأتي بقواعد فلان ، وقواعد ...! ثم تسمع الأسماء الهندوكية ، والأسماء البوذية ، والأسماء الإغريقية ، والأسماء النصرانية ، والأسماء اليهودية ، ثم يُتبعها بأحاديث نبوية وآثار وأقوال تعزز هذا القول الذي قال به داركيكوين ، أو فلان ، أو فلان ، ممن هم يسمونهم علوم البرمجة ، أو علماء الطاقة ، أو أصحاب الإدارة .

وجميع هذه تُدار من أجل تسويق المنتجات ، وأصل هذه الأمور بوذية ، علم بوذي ، أصله علم بوذي لإقناع البوذيين فيه ، وهم أول من مارس ذلك وأخذه منهم غيرهم من الغرب من الأوروبيين لتسويق البضائع ، ثم أتى جُهَّال جعلوه باسم الإسلام ، فأخذوها وانفتنوا فيها ، فأصبح عندما يُذكر اسمه : وهو مُعتمد من الجهة كذا كذا كذا البريطانية للبرمجة العصبية ، أو من أكادمية كذا الأمريكية في اعتماد مدراء مدربين ... و كلمات كبار! تجده في الشريعة لا شيء ، في العلم لا شيء ، لكن بدَّلوا هذا فتجد الجمهرة ، لو يأتي درس في التفسير (سورة عم) وهناك محاضرة في فن معرفة الذات ...

والآن الجرافيكيا ما أدري إيش اسمها ؟ معرفة الخط ، نعرفك من خطك ، واكتشف شخصيتك من خلال توقيعك ، توقيعك هذا نقرأه ، وقراءة الكف ، والفنجال ، وقراءة التوقيع ، وقراءة الكتابة ، وقراءة القلم ، وقراءة اليد ، وقراءة ...!!

ومع ذلك تجد لهذه البضاعة متسوق ، وتجد لهذه الكلمات سامعة ، وتجد للجالس جالسة ، المجنون إذا يتكلم وجدت من يستمع عنده ، وربما يقول قائل : خُذ الحكمة من أفواه المجانين!

نعم ، اخترعوا لهم كتاب ، قست قلوبهم من القرآن ما يبغونه ، فاخترعوا لهم كتاب استحلته أنفسهم ، فتجد في علم الكلام ، فتجده يقول في الأدب : استمتع بالكلمات ، ورقّت لها المسامع! وإذا سمع في الألفاظ تجده يترنم ، وربما يردد بآهات وكلمات مع القارئ : مفيد ، جميل ، هات!

ولـمَّا يسمع القرآن يتململ ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[الزمر :٤٥] ، إذا ذكر القرآن وذكر الله يضيق به المكان ويستطيل به الزمان ، ويرى أن الوقت استُنفذ فيما لا مصلحة فيه ، ولما يسمع مثل هذه الكلمات يستحسنها ويستعذبها !

اتهم نفسك ، لذلك يقول عثمان ﷺ : والله لو سلمت قلوبنا ما شبعنا من كلام الله .

ما شبعنا من القرآن ، فكيف الذي يريد أن يستبدل القرآن بالألحان ؟ ويستبدل كلام الرحمن بمزمار الشيطان ؟ فنعوذ بالله من وساوس الشياطين .

هذا ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ، وأيضًا ابن كثير وفصَّل فيه وغطَّاه .

المتن : (... وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم) .

الشرح : لأنه يسمع في القرآن الزجر ويسمع فيه النهي فحال بينه وبين ما يشتهي ، فتجده يصدّ عن سبيل الله كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الزخرف :٣٧] ، وإنهم يصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ، فكثير منهم على هذه السجية ، ولذلك أتبعه بابٍ يبين فيه الهداية والاستقامة بماذا تكون ؟

المتن : (باب من ابتغى الهدى من غير القرآن) .

الشرح : ضلَّ ؛ والله ضلَّ من ابتغى الهدى في غير القرآن ، والله ضلَّ ؛ فالقرآن هو كتاب هداية ، قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة :١-٢] . وقال ايضًا : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء: ٩] . وقال : ﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾[الجاثية :١١] فالقرآن كله هدى ، هدى للمتقين .

المتن : وقول الله ﷻ : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ الآيتين) .

الشرح : ﴿ فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ ، قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ أي : من يعرض عن ذكر الله .

وما هو البديل؟ الذي يترك الأصيل يأتيه الشيطان فيصرفه ، فمن لم يكن ذاكرًا للرحمن فسيكون صاحبه الشيطان ، والنفس إن لم تشغلها بذكر الله شُغِلَت ؛ فعليك بنفسك .

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

عليك العناية بنفسك ، زكِّها ، كما قال ﷻ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:٩-١٠] . وليس هناك أعظم تزكية للنفوس من مداومة قراءة القرآن ، فوالله إنه ليعالج النفوس ، فابدأ ؛ فإن كنت مقصِّرًا في القراءة فابدأ ، روِّض نفسك ، ابدأ في القراءة خاصةً ونحن مقبلون على شهر عظيم ، شهر القرآن ، بل إن بعض الناس لا يعرف القرآن إلا في رمضان ، هذا غلط ، لا بدَّ أن تكون من أهل القرآن سواء في رمضان أو في غير رمضان ، ولكن ما فات فات فأدرك ما بقي ، ولازم القراءة ، وأدمن النظر ، وراجع الحفظ ، وروِّض النفس وجاهدها ، فبالمجاهدة - بإذن الله - يكون هناك حُبٌّ وتواصل ، وتدريب للنفس وتعويد على الخير ، ومغالبة لها من الشر ؛ حتى يصبح الخير سجيةً لها وطبع ملازم ، فعندما يكون هناك شيء من النقص أو من التفريط تتحرك في كوامن النفس بواعث لتعيدها إلى الاستقامة .

المتن : (وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ الآية) .

الشرح : إذن هنا قوله ﷻ : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ طيب ومن لم يعش عن ذكر الرحمن ؟ فلا شكَّ أنه مع هذا الذِّكر ، لا شكَّ أنه في عناية الله ، وفي حفظ الله ، ومهدي بإذن الله . وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ، فهو هدى ، ورحمة ، وبشرى ، ففيه كل شيء ، فكيف تريد الهدى في غيره ؟

لو رجعنا للباب ما هوعنوانه؟ (باب من ابتغى الهدى في غير القرآن) إذًا الهدى كله أين؟ في القرآن .

المتن : (وعن زيد بن أرقم ﷺ قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً بماء يدعى : خُمًّا ...) .

الشرح : غدير ماء يقال له غدير خُمّ ، وهذا في الثامن عشر من ذي الحجة من السنة العاشرة .

والرافضة تجعل لهذا اليوم عيد يسمونه : عيد الغدير ، ولذلك أشياء عندهم كثيرة يسمونها الغدير : محل الغدير ، سكن الغدير ، كذا الغدير ، فهم يتسمون بهذا تباكيًا على هذا اليوم الذين يرون أنه فيه وصاية بالعترة .

الحديث صحيح ، والقصة صحيحة ، ولكن ليس فيها ما تردون أيها الرافضة .

يوم الغدير معروف ، غدير خُمّ ، ما ينكره أهل السنة ، لكن يجحدون اعتقادكم أيها الرافضة في هذا ؛ بمعنى أن علي ﷺ هو بعد النبي ﷺ !

غدير خُمّ مكان بين مكة والمدينة قريب من رابغ .

المتن : (فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ...) .

الشرح : وهذا أسلوب المتكلم أنه يحمد في البداية ويثني على الله ، ويعظ ويذكر في المحافل التي يجتمع فيها مع من معه ، وكانوا مسافرين ، ولا بأس من الصحب أثناء السفر أن يذكّر بعضهم بعضا ، وأن يرشد بعضهم بعضا ، وأن يكون في أوقاتهم ما يكون فيه تذكير لبعضهم بعض ، هذا من نعمة الله أن الصاحب مع صاحبه في الإقامة أو في السفر يذكّر بعضهم بعض ، وهنا المذكّر لهم رسول الله ﷺ فماذا قال ؟

المتن : (ثم قال : «أما بعد : أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول من ربي فأجيب ... ») .

الشرح : هذا فيه بيان ما هو؟ دليل على قرب أجله ﷺ ، وألمح في تلك الحجة كثير من الإلماحات كما قال ﷺ : «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا » ، ثم تكلم بخطبة مشهورة في عرفة التي سميت بعد ذلك خطبة وحجة الوداع ، وهذا الاسم غير مشهور قبلُ إنما اشتهر بعدُ ، سمُّوها بالوداع بعدُ ، أي وفاة النبي ﷺ ، وقيل بعد حتى زمن الصحابة ﷺ سميت بالوداع ، يعني ليس مشهور عند السلف هذا الاسم .

المتن : « وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما : كتاب الله فيه الهدى والنور ... » .

الشرح : هنا الشاهد أن القرآن فيه الهدى والنور ، فهو هداية ، فمن تركه وأعرض عنه ضل .

فكيف تريد الهداية في غير القرآن؟

كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾[النساء:١١٥] .

ما معنى ﴿ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ هنا ؟ هو القرآن .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[النساء:١١٥] ، في هذه الآية دليل على الرجوع للكتاب والسنة على فهم سلف الأمة ، من يفسر لي ذلك ؟

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾ : هذه السنة .

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ : القرآن .

وهذا دليل على أن الحجة لا تقوم إلا بعد أن تُبيَّن ، وهذا ردٌّ على من قالوا أن من لم يعلم قامت عليه الحجة . لا ، هذا ليس بصحيح ؛ الحجة تقوم بعد أن تبلغ الحجة ، يعني إذا وصلت الإنسان .

﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ هؤلاء من هم؟ هم الصحابة ﷺ ومن سار على ما هم عليه .

المتن : « وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما : كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به »

فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي».

الشرح: هنا بيَّن لهم النبي ﷺ لأهل بيته، ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]، فلا شك أن جناب النبي ﷺ وأهل بيته . . . .

أهل بيته هم: أهل بيته زوجاته، وأبناءه، وذريته.

لكن الذين هدموا البيت ويدَّعون ولاءهم لأهل البيت اتهموا صاحب البيت في نساءه!

فلعنة الله على من اتهم النبي ﷺ في نساءه؛ هؤلاء ما والوا أهل البيت، هؤلاء يريدون أن يهدموا البيت، فلم يحبوا البيت ولا أهل البيت بطعنهم في صاحب البيت أنه يحتضن زانية.

المتن: (وفي لفظ: «أحدهما كتاب الله هو حبل الله من تبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة» رواه مسلم).

الشرح: إذن يكونوا على الهدى، أما من بدَّل للناس وضلل الناس فهذا صرفهم، ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ [إبراهيم:٢٨]، نسأل الله السلامة، فمن الناس من صرف الناس عن الحق فضلَّهم - نسال الله السلامة-.

هذا حبل الله: القرآن، حبل الله المتمسك به ناجٍ، والتارك له هالك، ولذلك هو الحبل المتين، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

المتن: (وله عن جابر ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب يقول: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»).

الشرح: هذا فيه الهدى، أن الهدى في السنة، فبين أن القرآن هدى وكذلك السنة، فالقرآن والسنة كلها وحي لقول الله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[النجم:٣-٤]، ولذلك قال النبي ﷺ كما في حديث آخر: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي»، فهنا بيان السنة.

رسول الله ﷺ كان إذا خطب- يقول الراوي كما في تمام روايته-: (كان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم). هذا هو الخطيب، ليس الخطيب بارد في طرحه، لا، خطبة الجمعة تختلف عن الكلمة، تختلف عن الموعظة، تختلف عن المحاضرة، تختلف عن الندوة، تختلف عن الدرس، خطبة الجمعة لا بد أن تكون كهدي الرسول ﷺ، (كان إذا خطب كأنه منذر جيش صبحكم ومساكم)، ويُرى ذلك في وجهه بانفعاله، وهكذا الخطبة، فإلقاء الخطب ليس

بحاجة إلى تعليم كما يفعلون ، كيف تلقي خطبة؟ لأنك تلقي الخطبة بالسجية ، بخلاف الآن حتى الخطبة يمثِّل فيها ، إذا كان كذا افعل كذا ، وقل كذا ، ومارس كذا ، وأشر بيديك كذا ، والتفت كذا !!

أما السنة فقد كان النبي ﷺ يصمد الناس صمداً ، فلا يعبث بيديه أو يؤشر ؛ إنما كان يصمد الناس صمداً ، وكان إذا دعا ﷺ دعا بأصبعه ، ولكنه تحمر عيناه وتنتفخ ... ، يعني يُرىٰ في أوداجه ويُرىٰ في هيئته أن الأمر عظيم كأنه منذر جيش صبحكم ومساكم ، يعني العدو قادم خذوا حذركم ، فهكذا كان هديه ﷺ في خطبة الجمعة ، والخطيب الذي بهذه الصفة ...

ومن السنة أن تكون الخطبة قصيرة ، مع هذا الانفعال ، مع هذا الإيصال للمعلومة ، بهذه الحرقة ، فتجد الناس كلها قد اجتمعت أذهانها على سماع موعظة الخطيب فخرجت بثمرة وفائدة ، بخلاف من يطيل وهو لا يحسن الخطبة .

ركَّز هنا في بيانه على أمور ، أربعة أمور أو خمسة أمور :

١- « خير الحديث كتاب الله » .

٢- « وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم » .

٣- « وشر الأمور محدثاتها » .

٤- وكان يكررها ، أليس في هذا تأصيل في التلقي؟ بلى ، وكان يرددها في كل جمعة ، وهذا تأصيل في التلقي ؛ عندما تعلم أن المصدر هو القرآن هو خير الكلام ، وأن خير الهدي السنة ، وأن شر الأمور محدثاتها .

٥- « وكل بدعة ضلالة » . قاعدة .

القرآن كلام الله كله خير ، السنة النبيوية كلها هدىٰ وخير ، البدع كلها ضلالة .

لا يأتي أحد يقول : بدعة زينة! بدعة شينة! بدعة حسنة! بدعة ما هي حسنة!

النبي ﷺ يقول : « كلها ضلالة » ، كلها شر ، و « كل » من ألفاظ العموم لا يستثنى منها شيء .

ويأتي من يقول : لا ، يدخل فيها غيرها ، يصير ؟

النبي ﷺ ماذا يقول هنا ؟ « وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » .

فيأتيك من يقول : لا ، في بدعة ما هي ضلالة .

إذا ماذا تكون؟!

الرسول ﷺ يقول : « ضلالة » .

وأنت تقول : ما هي ضلالة .

انتبهتم!

لا ، ضلالة معناها : ضلالة .

فكل بدعة في الدين ضلالة ، فلا خير فيها ، ولوكان خيرًا لسبقونا إليه .

تريد تجعل ... الدين؟

لا ، الدين ورد وكَمُل كما قال تعالىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[المائدة :٣] .

ما في دين جديد .

عندنا صلاة جديدة؟ في صيام جديد؟ في حج جديد؟!

إذًا ، ليس لدينا دعوة جديدة ، ولا مناهج جديدة ، ولا أمور ... انتهىٰ ..

النهج نهج المصطفي ﷺ ، والدين ما كان عليه ﷺ ، والدعوة إلىٰ الله ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ، والمناهج ما كان عليه منهج النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم .

كل ما أتىٰ بعده من محدثات مردودة لا عبرة بها ، ولا يلتفت إليها مهما كانت .

إذن علينا بما اتىٰ عن النبي ﷺ .

يبحث عن الخير ويبغي الخير!!

لو كان خيرًا لسبقونا إليه .

أجعله من الدين أو من الدين!!

ما لم يكن ذلك اليوم دين فلا يكون اليوم دين .

ما في دين جديد ، ديننا – والحمد لله – كامل ، ومن أتىٰ بشيء جديد فقد اتهم الشريعة ، واتهم صاحبها الذي أتىٰ بها غضة طرية تامة كاملة ، وقال ﷺ : « ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد » .

والذي يأتي بشيء جديد كأنما لم يبلِّغ .

علمه النبي ﷺ و لم يعلِّمه أمته؟!

سيقول : لا .

قال : هو علم عنده و لم يرويه؟

من أين أتىٰ لك هذا؟!

إذن الدين هو ما قد سُبقنا إليه ، بآية في كتاب الله ، أو حديث عن رسول الله ﷺ .

ما يقبل ديننا التطوير ، ما في معامل تجدد في الصلاة يسووا فيها شيء زايد ، أو مع التقنية الحديثة أو مع الأمور العصرية ، نعمل في الحج أشياء ... نزيد في عدد الطواف ، ننقص في عدد الرمي .

لا ، لا ، لا ، الدين لا يقبل لهذه الأمور ؛ الزيادة فيه نقص والتنقيص فيه إبطال له ، يعني صلاتنا لو أردنا أن نصليها ست ركعات ، العشاء زدناها ركعتين ؛ يصبح باطلة ، ولو صليناها ثلاث ؛ أيضًا باطلة .

قال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[هود:١١٢] . ما تجيب شيء من عندك .

وفي الأثر : (عليكم بالعتيق فقد كفيتم) من قال هذا ؟ عبد الله بن مسعود ﷺ .

وهذه الآية دالة على ذلك ؛ فقد قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣] .

لذلك تجد بعض الناس إذا فعل شيء محدث من البدع – تجد غالب من يرد عليه – أول من يرد عليه الراد من أهل العلم فيقول : هل فعل ذلك رسول الله ﷺ ؟

فالمجيب يقول : لا .

هل فعله الصحابة ﷺ ؟ فيقول : لا .

إذن أمر ليس في كتاب الله ، ولا عن رسول الله ﷺ ، و لم يأت عن صاحب من صحابته ﷺ كيف تلصقه للدين ؟ فيُحذر من مثل هؤلاء ، فهؤلاء على ضلالة ليسوا على هدى .

فهنا في هذا الباب بيَّن علامات ودلالات على الهدى ؛ فذكر كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ ، وبين عنوان الضلال والانحرافات ؛ وهي المحدثات والبدع .

وبضدها تتميز الأشياء ، يعني من ترك الكتاب والسنة ضل إذًا و لم يكن من المهتدين ، من أراد الهداية في غير القرآن والسنة فهو لم يصل ، كمن بحثوا عنها في كتب الأدب ، أو كتب الفلسفة ، أو كتب الكلام ، أو في كتب الإدارة ، أو في غير ذلك وأرادوا الهداية ، فلا هداية في ذلك .

المتن : (وعن سعد بن مالك ﷺ قال : ...) .

الشرح : الصواب (سعد بن مالك ﷺ) ليس (سعيد) ، سعد بن أبي وقاص ﷺ ، وأبي وقاص هو أبوه مالك بن وهيب بن عبد مناف ، من قريش ، وهو من عبد مناف .

وسعد ﷺ ، معروف من هو سعد ﷺ ، قيل سادس الستة ، وقيل خامس الخمسة ممن أسلم ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وهوأحد القوَّاد الفاتحين ، حضر الكثير من غزوات النبي ﷺ ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، وهو فاتح العراق والمدائن وكسرى ، وهو من القوَّاد العظام ، فهو سعد بن مالك ﷺ .

المتن : (وعن سعد بن مالك قال : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فتلاه عليهم زمانًا ، فقالوا : يا رسول الله لو قصصته علينا فأنزل الله عز وجل : ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ الآية فتلاه عليهم زمانًا ، رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن) .

الشرح : هذا أتى عند ابن جرير الطبري ، وهو أيضًا عند الدارمي وغيره ، وذكره أيضًا الواحدي في أسباب النزول ، ولكن هذا ليس غريب أن الناس يصيبها ما يصيبها من الرغبة في التجديد ، والحقيقة أن الميل إلى تجديد الأشياء يدلُّ على ملالة النفوس ، فتجد من الناس من عُرف بالقرآن وعُرف بالسنة واستمر

على ذلك فيبحث عن رغبات الناس ؛ لأن غيره يمارس أشياء أخري ، فتجده يقع في ما يلفت الناس ، ففرقٌ بين من يدعو إلى الله ﷻ ليبيِّن للناس حكم الله وبين من يدعو الناس لنفسه ؛ لأن الذي يدعو الناس لنفسه يبحث عمَّا يرغبه الناس ، وما يحبه المستمعون ، وما يرغبه المشاهدون ، وما يميل إليه الجمهور ، وما هي رغبة الناس ، فتجد الناس مالت مع القصص فتجده قصاص ، أو في المنامات ، أو في الخزعبلات ، أو في الغرائب ، أو في العجائب ، أو في غير ذلك مما يقع فيه الناس ، فيخترعون لهم طرق ومحدثات عصرية ومع الزمن لا تُستنكر .

الآن أصبح مثل هؤلاء يفعلون كذلك وهم فيما مضى يستنكرون ذلك!!

فسبحان الله!

تجد الناس تستمر على الشيء .. على الشيء .. حتى تترك الحق وتتبع الباطل!

القصص في القرآن موجودة ، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[يوسف :٣] ، فالقصص في كتاب الله طيب ما في بأس ، والسنة طيب ما في بأس ، أما سوالف الناس التي اليوم تسولفها الآن .. فلان صار كذا ، وحصلت قصة كذا ، وأحيانًا تكون القصة انتهت وهي غير مؤثرة فلا بد أن يضفي عليها من العبارات ما يجعلها مؤثرة ويقع في الكذب ، فغالب القصاصين كذابون ، أكثرهم كذبة ، وربما تجده يروي القصة في مجلس ويرويها في مجلس آخر لكن بأسلوب آخر ، إذن هي ليست القصة الأولى ، الآن هذا أتى بشيء من رأسه ، الذي جعل أهل العلم ينهون عنها لأنها كذب ، كذب ومفتعلة .

الناس لا تؤثر في نفوسها إلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، أما أصحاب المنامات والشواذ والقصص والغرائب لهم سامعة وتميل لهم الناس فيما هم يفرحون .

المتن: (وعن سعد بن مالك ﷺ قال: أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصته علينا فأنزل الله عز وجل: ﴿ الٓرٓ ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الآية، فتلاه عليهم زمانًا، رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن. وله عن المسعودي عن القاسم أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملُّوا ملَّة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله. فنزلت: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾).

الشرح: قرأنا هذا كله، وذكرنا أن الناس يتركون القرآن ويبحثون عن طرق الآن يسمونها طرق عصرية، الدعوة طوَّروها خلاص لأنها قابلة عندهم للتطوير.

هذا دين ما هو بمعمل تجارب الأشياء فيه تتجدد، لا.

هناك مَن يجدد الدين؟ نعم، عندما تترك الناس الأحكام الشرعية فيُعيدهم للسنة النبوية.

أما أن يأتي شخص بطريقة جديدة ودعوة جديدة ومنهج جديد! ما عندنا؛ لأننا نحن على الأمر العتيق، على ما عليه النبي ﷺ.

دعوتنا الدعوة السلفية، نحن ندعو إلى الدعوة السلفية، العقيدة السلفية، المنهج السلفي، هذه دعوتنا، على ما كان عليه السلف الصالح، دعوتنا واضحة بيضاء نقية نخبرها الجميع في العلانية وفي كل حال؛ هذه دعوتنا.

أصحاب المناهج الخفية ممن يتبعون الرفض، أو التصوف، أو الخوارج، أو مَن أتوا بها الجماعات الجديدة الآن التي تسمى الإخوان، أو التبليغ، أو السرورية، أو التكفيرية، أو المناهج المنحرفة، هذه نحذر منها لا ندعو إليها، هذه نحذر منها ونبين ضلالها سواء شهوات أو شبهات.

اليوم تجدون الناس تَردّ على أناس كثير وقعوا في بعض الشهوات، لا يجدون غضاضة في الرد على من تكلم في مسألة الغناء، الآن كلٌّ يردُّ عليه!

أصبح المنهج الآن جواز الردّ!

ويسمونهم بأساميهم.

وأمس فلان وفلان يتكلمون في العقيدة، ويتكلمون في أمور التكفير، ويكفِّرون أهل العلم والبلاد، ويرون المسائل العقدية المنحرفة، لا يغضبون لمسائل العقيدة بقدر ما يغضبون لمسائل الشهوات!

يغضبون لمسائل الشهوات والمنكرات ولكن لا يرون منكرات الشرك، حتى لو كان في بعض معظَّميهم ومَن يرون لهم رموز عندما يكون في الطعن في الأنبياء وفي الصحابة لا يتكلمون في ذلك.

لا شك أن الذي يرى الشهوات أو الغناء أو الأشياء هذه كلها أمور منكرة ويُنكر عليه، وليس هذا

بجديد ؛ أهل العلم بينوا ذلك ، ولكن انظروا المنهجية عندما يبين أهل العلم ضلال من انحرف في الشبهات يغضبون ويحامون عن صاحبهم! وعندما يقع مَن يقع في بعض الشهوات تجدهم يغضبون .

هلَّا لدين الله في الاعتقاد غضبتم وأنكرتم!

كما أنكم تشكرون على إنكاركم في جانب الشهوات .

لماذا لم تنكروا في جانب الشبهات والعقائد ؟!

يدلُّ على أن القوم أصحاب هوى .

وأما علماء السنة – علماء الدعوة السلفية الواضحة النقية – يردُّون على صاحب الشهوات والشبهات ، ويبينون دين الله ﷻ ديانةً كائنًا مَن كان .

المتن : (ثم ملُّوا ملَّة فقالوا : حدثنا يا رسول الله فأنزل الله عز وجل : ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية) .

الشرح : هؤلاء الذين أشغلوا الناس ، كل ما أتي شيء أرادوا أن يأتوا بأشياء محدثة يسموها البديل ، ما سمعتوا عن أصحاب البديل .. البديل .. أين البديل؟

أنت لست في حاجة إلى بديل ؛ فارجع إلى الأصيل واترك منك الدخيل .

هذا الأمر الدخيل لست في حاجة إلى بديل ؛ عليك بالعودة إلى الأمر الأصيل ، عليك بالعودة إلى الأدلة ، إلى السنة ، إلى دين الله .

فأبدلوا أغاني المزامير بترانيم الصوفية ويسموها الأغاني الدينية! ماذا يسموها؟ أغاني دينية ، هم يسموها أناشيد إسلامية لكي تمشي على الناس ، يسموها أناشيد إسلامية! لكن لو قلنا أغاني دينية ، الدين ليس فيه أغاني ؛ الدين فيه قال الله قال رسول الله ﷺ ، ولكن هكذا .. ، الأغاني هذه وجدها عند البوذيين عندهم الترانيم البوذية ، ترانيم ، وجدناها عند النصارى في كنائسهم ترانيم ، وجدناها عند الصوفية في حضراتهم ترانيم ، وجدناها عند الرافضة في نياحتهم يسموها شيال في الحزن ، وجدناها عند هؤلاء .

أما أهل السنة فليس عندهم إلا القرآن والسنة ، ومع ذلك صرفوا الناس بهذه الأغاني الصوفية ، حتى أصبح بعض الناس لا يسمع إلا هي فسيارته مليئة بالأشرطة التي بها الأغاني الدينية وبيته مليء بها .

بل الآن أصبحت بما يسموها ببعض القنوات فتجد لها آهات وهمهمات وتمتمات كأنما هي نغمات ، بل نافست النغمات الغنائية وقالوا إنما هذه عبارة عن برمجة في الكمبيوتر ومؤثرات صوتية .

مؤثر صوتي أم ما هو مؤثر صوتي ناتجه ما هو؟ ناتجه كأنما هي غناء المغنين ، بل أصبحت أناشيدهم من ألحان غناء الفساق والفاسقات ، بل بلغني أن منهم مَن قدَّم شكوى على بعض الفاسقات لأنها أخذت لحنًا له في أنشودة .

المتن: (ورواه أبي عبيد عن بعض التابعين ، وفيه فإن طلبوا الحديث دلّـَهم على القرآن) .

الشرح: رواه أبي عبيد لأنه له كتاب في فضائل القرآن ، له كتاب جميل جداً أنصحكم به ، والله أعلم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – اختصر كتابه ؛ لأن هناك تشابه في الأبواب وهناك تشابه في بعض ما فيه ، إلا أن كتاب فضائل القرآن للشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – فيه نَفَسه ، الشيخ محمد له نَفَس معين في التبويب واختيار الآيات والأحاديث والآثار له نَفَس معين .

المتن: (وكان معاذ بن جبل ﷺ يقول في مجلسه كل يوم – قلّ ما يخطئه أن يقول ذلك –: الله حَكَمٌ قسط ، هلك المرتابون ، إن وراءكم فتنًا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي فيوشك أحدهم أن يقول: قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى ابتدع لهم غيره ...) .

الشرح: يريدون أن يأتوا بالباطل في مقابل الحق ، والحق كما قال الله ﷻ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١] . وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ ﴾ [الأنبياء:١٨] .

المتن: (... فإياكم وما ابتدع فكل بدعة ضلالة ، وإياكم وزيغة الحكيم ، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق ، فتلقوا الحق ممن جاء به فإن على الحق نوراً . الحديث رواه أبو داود) .

الشرح: لأنه استمساك بالوحي كما قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۚ ﴾ [الزخرف:٤٣] ، لا تبدل ، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [هود:١١٢] . قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» ، وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣] ، أن يسعك الأمر .

وانظروا كم مسألة أوردها هنا في حديث معاذ ﷺ ؟

- (إن الله حَكَمٌ قسط) أي: عدل .
- (هلك المرتابون): أصحاب الريب والشك والتبديل والتغيير والتحريف .
- (إن وراءكم فتنًا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن ...): يعني الكل يقرأه الصغار والكبار والنساء والجميع لكن قراءة هذّ ، (حتى يقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي ...): والآن ما في مكان إلا ويوجد فيه مَن يجمعونهم على هذا الأمر ، وهم كانوا يريدون بذلك أن يؤدُّوا رسالة ولكنهم استغلوا هؤلاء الناس كحصالة ليجمعوا منهم أموال ؛ بالأمس كانوا يريدون أن يوصلوا لهم رسالة والآن اتخذوهم كالحصالة لجمع الأموال عن طريق هؤلاء .

- (فيوشك أحدهم أن يقول: قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى ابتدع لهم غيره ...): يعني الغرض ليس دعوة الخلق إلى الحق ؛ إنما يدعوا الخلق بعضهم إلى بعض ، يدعو لنفسه .

ليدعوا إلى الحق لا يلتفت إلى الخلق كثروا أم قلُّوا إنما غرضه إيصال الحق للناس ، ولذلك انظروا الميزان لما ذكر النبي ﷺ في عرض الأمم: « عُرضت عليَّ الأمم فإذا بالنبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد » ليس من عجز في البيان ، أو قوة في وضوح الدعوة ، أو كما يتهمون البعض ليس عنده إخلاص ، ما أحد يسمع له .

لا ، بالعكس دعوتهم واضحة وقوية وجلية وبينوا للناس ، ولذلك داعي السنة إذا دعا لها وليس له سامعة أو من ... ، فلا يُتهم في إخلاصه .

يُقال انظر هؤلاء ما عندهم أحد أصلا ما عندهم إخلاص!

أو مَن كثر مَن معه!

ما هو بأكثر من الذين اتبعوا الخميني في جنازته ، ألوف الألوف وهم يتبعونه في جنازته ؛ هل دلَّ على أن كثرة الأتباع دليل على الحق ؟ لا .

الزم الحق كما يقول ابن مسعود ﷺ ولوكنت وحدك ، فأنت بالحق مع أهل الحق كثير عندما يلتقوا عند العزيز الحكيم ، وتوضع الموازين القسط يوم القيامة .

ثم ماذا قال ؟ قال فيبتدع لهم بدعة ؛ فكل بدعة ضلالة ، هذا حكم .

ثم ذكر أربع مسائل عظيمة انتبهوا لها :

قال: (وإياكم وزيغة الحكيم) أتى في بعض الروايات (وزلة العالم التي إذا قالها قيل: ما هذه؟) يعني تُستنكر منه وتُستغرب منه ؛ فربما يقع العالِم في شيء من الزَّلل فكن على حذر من أن تتبعه .

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾[الحديد:١٦] ، بل بعض الناس يُبدِّل إذا طال عليه الأمد .

قال: (وإياكم وزيغة الحكيم) يعني زلة العالم ، (وإن المنافق قد يقول كلمة الحق) كونه وافق الحق لا يدل على أن أصله على الحق ، وهذا الذي يفرق عندما يقع مثلا سُني في زلة ويُنظر إلى أنها سنية لكن زلته يُرَدّ عليها ولا يتبع فيها ، ويبقى له احترامه من حيث أصله في اعتقاده الصحيح ، وكذلك عاملوا إمام الأئمة ابن خزيمة عندما زلَّ في مسألة الصورة وردُّوا عليه لكن تبقى منزلته ولا يزال اسمه ماذا؟ إمام الأئمة صاحب كتاب التوحيد ، صاحب كتاب التوحيد ، ابن خزيمة صاحب كتاب صحيح السنن لابن خزيمة ، عالم جهبذ ولكنه زلَّ أخطأ وأصوله أصول سنية .

بخلاف الضال المبتدع من علماء الضلالة وأصوله أصول خلفية بدعية ، وربما طرح مسألة من المسائل فيها حق ؛ فهذا الطرح لا يدل على أن أصله على حق إنما هو وافق الحق وليس هو من أهله ، واضح ، وافق الحق وليس هو من أهله ، كما أن الذي من أهل الحق والصواب خالف الحق وإن كان من أهله ، ولذلك اعرف الحق تعرف أهله ؛ فلا يُعرف الحق بالرجال إنما يُعرف الرجال بالحق ، وهذه القاعدة عندما تكون عند طالب العم يصيبه نوع من الارتياح ومن الاطمئنان والكل يأخذ منزلته الطبيعية فلا يغلو في عالِم فيتبعه على باطل ولا ينفتن بضال عندما يقول كلمة حق .

انتبهتم !

قال : (وإن المنافق قد يقول كلمة الحق ...) فهنا تنبيه من حيث التأصيل ، قال : (فتلقوا الحق ممن جاء به فإن على الحق نور) ما هو النور ؟ آية من كتاب الله أو سنة صحيحة عن رسول الله ، هذا هو النور .

المتن : (وروى البيهقي عن عروة بن الزبير ﷺ أن عمر ﷺ أراد أن يكتب السنن فاستشار الصحابة ﷺ فأشاروا عليه بذلك ثم استخار الله شهرًا ثم قال : إني ذكرتُ قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله عز وجل وإني لا ألبس كتاب الله بشيء أبدًا) .

الشرح : رواه عبد الرزاق وغيره ، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله .

وهذا فيه أن عمر ﷺ اجتهد هذا الاجتهاد ، ولا شك أن السنة دونت في عهد النبي ﷺ ، دونت كالصحيفة الصادقة وكغيرها من الكتب التي دونت ، وعبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- كان له صحيفة وغيره ممن كانوا يكتبون في عهد النبي ﷺ وبعد ذلك ، ولكن عمر ﷺ أراد أن يبين للناس هذه المسألة .

المتن : (باب الغلو في القرآن) .

الشرح : هنا باب الغلو سيفصله ، نبه مقدمة في من جفا في القرآن وغلا ، فسبق هذا ممن فجر في القرآن وهنا سيبين الآن بعد حال الخوارج أكثر وأكثر .

المتن : (فيه حديث الخوارج المتقدم) .

الشرح : الذي مرَّ معنا في باب إثم من فجر بالقرآن .

المتن : (وفي الصحيح عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : ...) .

الشرح : وفي هذا الحديث كثير من أمور التربية والتعليم والتزكية الصحيحة ، ومسائل في المنهج والتلقي ، ومسائل في الاستقامة ، ومسائل في التنسك ، في هذا الحديث أشياء كثيرة فنستمع له - بارك الله فيكم - فيه توجيهات وفيه لفتات .

المتن: (وفي الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم أخبر أنك تصوم الدهر ...») .

الشرح: يعني بلغني خبر، من الذي أخبره ؟ أبوه، أخبره عمرو بن العاص ﷺ عن ابنه عمرو أنه فيه تنسك، فيه حب للطاعة، فيه حب للخير، لكن وجد أنه فيه نوع من إجهاد النفس فوق طاقته فأراد النبي ﷺ أن يقومه .

المتن: «ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة» .

الشرح: « تصوم الدهر » يعني: كل يوم تصوم، وكل ليلة تقرأ القرآن، يعني النهار صايم، والليل قائم، طاقة، شباب .

المتن: (قلت: بلى يا رسول الله ...) .

الشرح: هنا لم ينكر قال: نعم . وهنا استفصل النبي ﷺ عن أمرٍ في نفسه، وليس للنبي ﷺ معرفته إلا بوحي أو خبر، وهنا المعرفة أتت عن طريق من ؟ بخبرٍ من أبيه .

المتن: (قلتُ: بلى يا رسول الله و لم أُرد بذلك إلا الخير) .

الشرح: يعني أنا فعلت هذا الفعل أبحث عن الخير، أبحث عن الأجر، فالنبي ﷺ وجَّهه إلى الخير، وما صرفه عن هذا الفعل إلا لأن هذا الفعل ليس هو من تمام الخير؛ لأنه نهاه، بل أتى أن النبي ﷺ قال: « ما صام من صام الدهر » وأتى أنه ﷺ قال: « ما قرأ القرآن من قرأه دون ثلاث » لاحظتم، وهنا عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما – يقول: (و لم أُرد بذلك إلا الخير)، والنبي ﷺ قال: « ما صام من صام الدهر وما قرأ القرآن من قرأه دون ثلاث » وهنا أثبت أنه يصوم الدهر ويقرأ القرآن في كل ليلة ويريد الخير، فدلَّه النبي ﷺ على الخير الصحيح .

المتن: (قال: «فصم صوم داود فإنه كان أعبد الناس ...») .

الشرح: طبعًا هناك روايات أنه ﷺ قال له: « صم ثلاثة أيام من كل شهر » . قال: إني اطيق أفضل من ذلك . فقال ﷺ: « صم سبعة أيام من كل شهر » . قال: إني أطيق أفضل من ذلك . الشباب طاقة وهمة، وهنا فيه تنبيه أنك إذا وجدت من نفسك همة وداومت عليها اعلم أن الأيام المقبلة ستأتيك من الصوارف والعوارض والعوائق والعوالق ما يجعلك لا تستطيع أن تستمر على هذا، فتأتي الإنسان صوارف وعوائق وعوالق ومشاغل: كبر سن، تحصيل، تربية أبناء، بحث عن مشاغل، طرق الأسفار، وهكذا من صنوف ما يحصل للناس من العوالق، بخلاف الشاب الذي ليس عنده شيء، وإذا الإنسان ألزم نفسه بشيء واستمر عليه قلَّ ما يستطيع أن يترك ما اعتادته نفسه وتربَّت عليه، وفي المقابل سيشق ذلك عليه، فأراد النبي ﷺ أن

يوجهه لذلك فقال: «لعلك تطول بك الحياة...»، ولذلك لما كبر عبدالله بن عمرو- رضي الله عنهما - قال: ليتني أخذت بوصية رسول الله ﷺ. التي هي صيام ثلاثة أيام من كل شهر وأن يختم في الشهر.

المتن: (« ... واقرأ القرآن كل شهر » قلت: يا رسول الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: « فاقرأه في كل عشر » قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك).

الشرح: طبعًا هذا في القرآن، أما الصيام لما قال ﷺ له: «صم ثلاثة أيام»، «صم سبعة أيام» صُم.. صُم.. إلى أن قال ﷺ له: «صم صيام داود فكان يصوم يومًا ويفطر يوما». قال: إني أطيق أفضل من ذلك. قال ﷺ: «لا أفضل من ذلك». يعني: معناه أنه يطيق أنه يصوم يومين ويفطر يوم. فقال ﷺ له: «لا أفضل من ذلك» لأنه في البداية قال: «صم صيام داود فإنه أعبد الناس» وأتى في رواية: «فإنه من أفضل الصيام» قال: أطيق أفضل من ذلك.

وهنا تربية أن الإنسان لا يزيد؛ فالنبي ﷺ يقول له: «لا أفضل من ذلك» وهو يقول: أطيق أفضل من ذلك. فقال ﷺ له: «لا أفضل من ذلك» يعني: معناه لو صام أكثر من صيام داود ماذا يكون هذا الصيام صحيح أم غير صحيح؟ مُحدث، لا ينبغي، مع أنه يريد الخير يريد الأجر، لا يجوز له ذلك؛ تصوم كل يوم لا يجوز؛ محدث، ولذلك قال النبي ﷺ: «ما صام مَن صام الدهر». مع أنه يصوم لأجل الأجر ويبغى الأجر، عليه وزر لأنه خالف السنة.

النبي ﷺ يأمر ويذكر أفضل شيء وهذا كأنما يريد شيئًا لم يذكره النبي ﷺ ويبحث عن أمر أفضل مما قاله النبي ﷺ، وهذا تنبيه في أمور التعبد وهي لطيفة من اللطائف التي ينبغي أن يقف عندها الإنسان؛ إذا وجدت سنة لا تزيد على السنة؛ اعلم أن الخير في هذا، فخير الهدي هدي النبي ﷺ كما مرَّ بنا، ليس هناك هدي خير من هدي الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

المتن: (« ... واقرأ القرآن كل شهر » قلت: يا رسول الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: « فاقرأه في كل عشر » قلتُ: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: « فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك »).

الشرح: « لا تزد على ذلك » وهذا جرى عليه عمل الصحابة ﷺ أنهم كانوا يختمون كل سبع - فنسأل الله أن يوفقنا لذلك - لاشك من كان كل سبع أيام يختم يكون قريب من القرآن، من الأوامر ومن النواهي، ومن الزواجر، من التوجيهات والتنبيهات القرآنية، قريب جدًا إذا كان يختم كل سبع، أبد، لكن بعض الناس تأتيها أشغال، وإن شاء الله أنها على خير، لكن ينبغي له أن لا يبتعد عن القرآن.

أما أن يترك القرآن ما يعرفه إلا في رمضان هذا غلط، هذا إن كان يختم في رمضان، بعض الناس إلى الآن ما ختم القرآن في حياته، ما ختم القرآن في حياته، وبعضهم يمكن ختم في حياته مرة أو مرتين، وبعضهم يكاد يعدها على أصابع اليد كم مرة ختم القرآن؟!

أحد علماء السلف بكت عليه ابنته ، قال : بنية لا تبكي فتلك الزاوية قد ختمت فيها القرآن أكثر من ألف مرة . تلك الزاوية –كان في بيته – قد ختمت فيها القرآن أكثر من ألف مرة .

الله أكبر! الله المستعان .

المتن : (ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هلك المتنطعون ») .

الشرح : « هلك المتنطعون » التنطع : المبالغة في أي أمر ، قول أو فعل أو في أي شيء . الذي هو الغلو ، جانب ماذا؟ الغلو وهو التنطع ؛ أي : يفعل شيء لم يؤمر به ، أو يقول شيء لم يؤمر به ويلزم الناس به ، أفعال . . أقوال . . أشياء لم تأت في شرع الله فيغلو في ذلك ويُنكر في ذلك .

المتن : (ولأحمد عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا : « اقرؤوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به » . وعن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : . . .)

الشرح : عبد الرحمن بن شبل الأنصاري أحد النقباء ، أما أبي رافع ﷺ هذا قبطي ، هو قبطي وأسلم وأعتقه النبي ﷺ لما ذهب إلى النبي ﷺ وبشره بأن العباس ﷺ أسلم ، هو الذي بشر النبي ﷺ أن العباس ﷺ أسلم فأعتقه النبي ﷺ .

المتن : (وعن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » رواه أبو داود والترمذي) .

الشرح : هذا من الغلو في القرآن ؛ ما نبغي إلا الذي في القرآن فقط !

طيب القرآن يقول : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ ﴾[الحشر :٧] .

كيف تعرف الصلاة؟ كيف تعرف الصيام؟ كيف تعرف الزكاة؟ يالله اعطنا زكاة النقدين واعطنا زكاة سائمة الأنعام واعطنا زكاة ، يالله اقرأ القرآن وأخرج لنا الزكاة ، ووزع الزكاة على أصحابها الثمانية .

السنة مبينة للقرآن ، وهذا الحديث صحيح صححه الألباني في المشكاة رقم : (١٦٣) .

والنبي ﷺ أرسله الله ﷻ قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل :٤٤] ، فكيف تعرف الأحكام إلا بذلك ، النبي ﷺ ألم يقل « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه » ؟ وقال الله تبارك وتعالى عنه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم :٣-٤] .

هؤلاء الخوارج – هذا كله في الخوارج – أهل التنطع في العبادة ، ولذلك النبي ﷺ لما وصف الخوارج وصفهم بعبادات تنطعوا وغلو فيها ، حتى أن الصحابة ﷺ يحقرون أنفسهم عندهم ، فماذا قال النبي ﷺ ؟ نحن إذا أردنا أن نضرب مثل بقراءة القرآن والصلاة والصيام والتهجد مَن أقرب الجيل نصف به؟

الصحابة ﷺ . نقول : قال الصحابة ﷺ ، وصيام الصحابة ﷺ ، وقراءة الصحابة ﷺ ، و هذا الذي عندنا أقرب مثل نضرب به بعد النبي ﷺ بصحابته ﷺ ، النبي ﷺ يقول لصحابته : « تحقرون قراءتكم إلى قراءتهم ، وصيامكم إلى صيامهم ، وقيامكم إلى قيامهم . . . » هل هذا التنبيه والتحليل عن صفات وذوات وهيئات أم عن عبادات؟ عن عبادات .

وهل غرَّ ذلك الصحابة ﷺ كثرة تعبد هؤلاء أو قيامهم ؟

من الأوصاف التي أتت في حال هؤلاء كما يذكر ابن عباس- رضي الله عنهما – يقول : أتيت قومًا لهم بالقرآن دوي كدوي النحل ، جباههم كركب الماعز .

الذي قال له النبي ﷺ : « ويلك إن لم أعدل فمن يعدل » أتى في وصفه كما ذكر ابن أبي شيبة في المصنف قال : (وكان رجل غائر العينين ، ناتيء الجبين ، على جبينه أثر السجود ، كثّ اللحية ، قصير الإزار) يعني الأشياء الظاهرة يغلون فيها ، فأتى من قبل وجه النبي ﷺ لما كان يوزع المال فما أعطاه ، وأتاه عن يمينه فما أعطاه ، وأتى عن شماله فما أعطاه ، وأتى من خلفه فما أعطاه ، ثم أتى من قبل وجه النبي ﷺ فناداه باسمه المجرد قال : يا محمد! اعدل .

هو لم يقصد (اعدل) ؛ يعني اعطني معهم ؛ يريد المال ، هو ليس بصاحب عدل ، الخوارج كلهم أهل مال ، لذلك قتلة عثمان ﷺ الذي قتله منهم التجيبي يقول : طعنته تسع طعنات ، أما ست فلما في نفسي عليه ، وثلاث لله . فلما قتلوا عثمان ﷺ قال : يا قوم استحللتم دمه ألا تستحلون ماله؟!

يقول الحراس علي بيت المال : وكنا ما نظنهم إلا يريدوا أمرًا غير ذلك ، فلما مالوا على بيت المال علمنا أن ما هم إلا أهل دنيا .

ولذلك أكثر الخوارج الموجودون الآن لما أُعطوا فلوس سكتوا!

أين ديانتكم؟ أين منهجكم؟ أين أموركم؟

هم خوارج ؛ أهل مال ، يريدون الحكم من دون أهله ، قال ﷺ : « من أتاكم وأمركم جميع فاقتلوه كائنا من كان » .

ولذلك هم هذا ديدنهم ، وهذا أمرهم ، وإن تكلموا تكلموا باسم الإسلام ، وشأن الإسلام ، وجراحات الإسلام ، وأمة الإسلام والمسلمين ، وهم أكثر مخالفة لأحكام الإسلام وعقيدة الإسلام ومنهج النبي ﷺ والدعوة كلها يخالفونها ، ولكن يأتون بما يثيرون به عواطف الناس ، ولو أتيت لآحادهم وأفرادهم هم من أبعد الناس عن الاستقامة في الاعتقاد وفي الاتباع وفي المنهج والأخلاق والسلوك-كفانا الله وإياكم شرهم- فهم غلاة .

هؤلاء يسمونهم القرآنيون ، وعامة الخوارج هم يتعلقون بالآيات من القرآن فقط ، ولما ناظرهم ابن عباس- رضي الله عنهما- نبَّهه علي بن أبي طالب ﷺ قال : (لا تناظرهم بالقرآن فإن القرآن حمال وجوه) . أي

لأنهم سيذهبون إلى اللغة وإلى غيرها فيفسرونه بغير السنة، (ولكن ناظرهم بالسنة) فهم جهلة بسنة النبي ﷺ، فلما أتى إليهم وكان لابسًا حُلة فلما رأوه قالوا: هذه لباس من لا خلاق له. فأدبهم؛ قال: لبسها من هو خير مني ومنكم. يقصد من ؟ رسول الله ﷺ.

ثم ناظرهم بالسنة ففلج القوم، فعاد منهم أربعة آلاف، وقصته مشهورة ومعلومة، فهم لا (...).

والعجيب الغريب أنهم يفسرون القرآن بتفسيرات من عندهم ويتركون السنة، يرون قطع اليد للسارق تدرون من أين ؟ يأخذون اليد باسم اليد فيقطعونها من أعلى العضد ليس الكف.

وأقول مستغربًا أليس هم يرون تكفير فاعل الكبيرة؟ فلماذا يقيمون عليه الحد وهم يرون كفره؟ فكيف يقيمون عليه الحد؟ الحد تطهير، وهم يرون كفر صاحب الكبيرة، تناقض!

المتن: (باب ما جاء في اتباع المتشابه. في الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها– أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قرأ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ فقال: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» انتهى).

الشرح: من يكمل ؟ قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [آل عمران:٧] . على الوقف على قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ يعني في المحكم.

هذا (باب ما جاء في اتباع المتشابه) في بيان حال القرآن.

القرآن: فيه محكم، وفيه متشابه.

المحكم: ما اتضح معناه، ما اتضح يعني أصبح واضح ولم يخفى مدلوله؛ فمعناه من حيث اللفظ واضح، ومدلوله واضح.

والمتشابه: ما أُشكل منه يُرجع فيه إلى المحكم؛ فيُرجع متشابهه إلى محكمه.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ﴾ لا يعودون إلى محكمه فيبينونه من خلاله، لا؛ إنما يذهبون دون الرجوع إلى ما يفسره من المحكم، فقط هذه.

ولذلك هنا تحذير، والنبي ﷺ حذَّر من هؤلاء كما أن الله ﷻ حذَّر من المخالفين، والتحذير منهج شرعي؛ فقد حذَّر الله ﷻ فقال سبحانه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران:٣٠] ، فالتحذير موجود ، والنبي ﷺ حذَّر بل حتى يحذر مَم؟ يحذر أقرب الناس إليه ، اسمعوا الآن .

المتن : (... فقال : « إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » انتهى) .

الشرح : يخاطب مَن؟ هنا يخاطب عائشة رضي الله عنها يحذرها وينبهها ، وعائشة رضي الله عنها تروي ذلك ، فأقرب الناس له مَن هم؟ أهله ، يحذر أهله ، الأنسان يحذر ، يحذر نفسه ، يحذر أهله ، يحذر بيته ، يحذر أقاربه ، يحذر إخوانه المسلمين ، التحذير منهج شرعي ، ولذلك الخارجي الذي قال للنبي ﷺ : اعدل . فماذا قال له النبي ﷺ : « ويلك إن لم أعدل فمن يعدل ، يخرج من ضئضيء هذا ... » يعني من أمثاله ، وهذا واقف ، « أقوام ... » ثم ذكر وصف ؛ حذَّر أم لم يحذر؟

من شيء معدوم أم معلوم ؟

من عين مجهولة أم عين مشاهدة يرونها ؟ هذا هو .

فالتحذير ... ، حذِّر منه النبي ﷺ وعلى رؤوس الأشهاد .

المتن : (وقال عمر رضي الله عنه : يهدم الإسلام زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وحكم الأئمة المضلين) .

الشرح : (وقال عمر رضي الله عنه : يهدم الإسلام زلة عالم) هذه واحدة .

(وجدال منافق بالقرآن ، وحكم الأئمة المضلين) إذن هذه الثلاث كلها من أسباب انتشار الباطل في الناس :

- اتباع المتشابه .
- زلة العالم .
- جدال المنافق .
- حكم الأئمة المضلين .

يعني كل هذه من أسباب مخالفة الشريعة ومخالفتها بذلك ؛ فعندما يُهدم فلا شك أن البناء بعد ذلك يكون فيه مشقة ، فكيف إذا كان مَن كان يهدم كثير ومَن يبني قليل؟

متى يبلغ البنيـــــان يومًا تمـــامه ... إذا كنت تبني وغيرك يهـــدم

فلو أن ألف بانٍ خلفهم هادم كفى ... فكيف ببانٍ خلفه ألف هادم

ولذلك الإصلاح في الناس جهاد ، والله جهاد ؛ لأنك تنبه الناس على ما مالت إليه نفوسهم ، وتحذرهم من محبوبات مالت إليها شهواتهم ، فيصبر الإنسان ، والصبر في الدعوة منهج قرآني وأمر رباني وسنة نبوية ، فالإنسان يصبر في الدعوة ، والذي يتعجَّل لا يدعو ؛ لأن الله ﷻ يقول : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ

ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ﴾[لقمان:١٧] وهنا زيد في مبنى أصل الكلمة ، فالكلمة ثلاثية (صبر) فإذا زيد في المبنى دلَّ على أن هناك زيادة في المعنى ؛ ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ يعني : سيصيبك .

ثم هذا الصبر ميزة معينة ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ فبحاجة إلى جهاد وصبر .

﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾[طه:١٣٢] فيها مجاهدة وصبر .

ولذلك بيان الدين للناس بحاجة إلى صبر ، والحق لا بد له من بيان .

المتن : (ولما سأل صبيغ عمر ﷺ عن الذاريات وأشباهها ، ضربه عمر ﷺ ، والقصة مشهورة) .

الشرح : صبيغ بن عسل الحنظلي ، هذا صبيغ مشهورة قصته كان يسأل وأتى لعمر بن الخطاب ﷺ يسأله عن الذاريات ، قال : "أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول هي الرياح ولو لم أسمعه من النبي ﷺ لما قلته ..." فأصبح يسأل ، وهنا فرق بين الجاهل الذي يسأل للتعلُّم وبين المجادل والمماري في القرآن ، فلما رآه عمر ﷺ أنه على غير وجه التعلُّم إنما على وجه تتبع المتشابهات والأغاليط أدَّبه عمر ﷺ فقال : (اللهم مكني منه) فمُكن منه فقُدر له عمر ﷺ فإذا به يسأل عمر ﷺ ما الذاريات؟ وما كذا؟ قال : أهو أنت؟ فأمر بعراجين من نخل فضربه ثم حُمل ثم عادوا به إليه فضربه ثم حُمل . قال : يا أمير المؤمنين إن كنت تريد قتلي اقتلني وأما أنا فوالله قد ذهب الذي بي – سلمت خلاص – فوالله لقد ذهب الذي بي . فأمر به عمر ﷺ إلى العراق وأمر الناس أن يهجروه ، وهذا فيه هجر المبتدع وتسمى السنة العمرية ، فأمر به حول كامل ألا يجالس وألا إذا سلم يُرد عليه تأديبًا له ، فلما أتى بعد ذلك أرسلوا لعمر ﷺ أنه حَسُن في توبته وصدق لأنه حلف أنني لا أعود لمثل ذلك ، خرج الخوارج فلما خرج الخوارج أتوا إلى صبيغ ، فقالوا : يا صبيغ ها قد خرجوا فإليك بكذا . فدعوه إلى فتنتهم ، فماذا قال لهم؟ قال : أدبني العبد الصالح .

الله المستعان .

إذن الذين تجدونهم يتبعون ما تشابه منه ...، وتجد بعض الناس الآن لهم محاضرات ولهم أشرطة ولهم البومات كلها يتكلمون عن ما حصل من شبهات أو ما حصل من فتن ، ويشتهرون بهذا ، فهؤلاء من هؤلاء القوم ، ولو للإنسان من الأمر شيء لأجرى فيهم سنة عمر ﷺ بالعراجين ليتأدبوا ويذهب ما في رؤوسهم ، الذين لا يعرضون على الناس إلا الاغاليط ، ولا يعرضون على الناس إلا المتشابهات ، يلبِّسون على الناس الأمور الواضحات البينات فهؤلاء ليسوا أهل دعوة ، ولذلك أحد علماء السنة لما كان يحدث الناس قالوا له : إنك لم تأت بشيء لم نسمعه من قبل! قال : إن ما لم تسمعوه من قبل ليس بدين ؛ إنما الدين هو ما يُسمع .

ولذلك النبي ﷺ ذمَّ من يأتي للناس فيحدثونهم بما لم يسمع آباءهم ؛ هؤلاء هم أصحاب الأغاليط وأصحاب الغرائب ، بل اشتهروا بالغرائب والعجائب فإذا تكلم تكلم بالغرائب والعجائب فيبهر الناس ويظنون أنه أتى بعلم ، ولو كان في زمن مَن قد تقدَّم لأدَّبوه بمثل هذا الأدب .

المتن : (باب وعيد من قال في القرآن برأيه وبما لا يعلم . وقول الله تعالى : ﴿ قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾) .

الشرح : إذن هذا في القرآن من أعظم الذنوب القول على الله بغير علم ، ولذلك هنا ذكر أنواع المحرمات وأن منها الفواحش ، قال تعالى : ﴿ قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف :٣٣] .

- ﴿ قُل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ هذا أولها الفواحش .
- ﴿ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ .
- ﴿ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ .
- ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

يقول علماء التفسير أنه بدأ بالأدنى فدلَّ على أن القول على الله بغير علم من أعظم الذنوب ؛ أن تقول هذا هو أراده الله وهذا أحله الله وهذا حرمه الله فتأت بما لم يأت به الله ؛ هذا من أظم أنواع الذنوب لأنها فرية على من؟ فرية على الله ، مَن أشرك مع الله إلاهًا آخر هو قد أشرك يعني جعل الله معبوده وجعل معه معبودًا آخر ، ولكن أعظم من هذا الفرية على الله أن تقول أمرنا الله بهذا ، ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

المتن: (وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال في القرآن برأيه» وفي رواية: «من غير علم فليتبوأ مقعده من النار» رواه الترمذي وحسنه، وعن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» رواه أبو داود والترمذي وقال: غريب).

الشرح: هذا في بعض الأحاديث أتى فيها مثل هذا جدال ... نعم، الذين اختلفوا ... نحن في ...

هذه الأحاديث غالبها ضعيف من حيث ثبوتها ولكن يغني عنها الآية ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

هذه الأحاديث التي ذُكرت لا تخلو من مقال.

المتن: (باب ما جاء في الجدال في القرآن).

الشرح: أي الجدال في القرآن بقصد التكذيب والعناد؛ يعني باب ما جاء في النهي لأن الجدال منه محمود ومنه مذموم.

المحمود: كما قال الله ﷻ: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[النحل:١٢٥].

إذن عندنا جدال مأذون فيه، قال الله ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[النحل:١٢٥].

انظر كم مرتبة عندنا؟ ثلاثة:

- ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ والحكمة: وضع الشيء في موضعه.

يعني ليست الشدة دائمًا حكمة ولا اللين دائمًا حكمة؛ أحيانًا تكون الشدة حكمة وأحيانًا يكون اللين حكمة.

- ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ يعني بالتي هي أحسن، بالتي هي أقوم.

- ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.

أما المجادلة بالتي هي أسوأ غالبًا ما تقوم على المغالبات وهي مذمومة، يعني الغرض منها ماذا؟ المغالبة، فتأت على التكذيب، وتُلجيء إلى الافتراء، وترتفع فيها الأصوات، وتنتفخ فيها الأوداج، وتتضطرب فيها الأبدان، وتجده يكلمه وهو جاحظ العينين، وربما قد خرج لعابه من فمه، وتجده أصابته رعشة، اضطرب.. اضطرب لماذا؟ لأنه سيريد أن ينتقم لنفسه ليس للحق، ولذلك صاحب الحق يكفيه من الحق ما هو مثبَّت به قلبه فتجده يعرض السنة في وضع هادىء، والمقابل له بجميع أحواله أصابه ما أصابه وهذا دليل لضعف ما عنده.

بخلاف ما يكون في الإنسان أحيانًا أنه أثناء النقاش أو أثناء الـ... يصيبه شيء من الحرارة، وتسميه العامة يحتفل؛ يعني تجده أنه لديه رغبة وحب أن الشخص الذي أمامه يستفيد، فتجده متحركة جميع كوامنه جميع حواسه، بخلاف جانب المغالبة المذمومة التي هي جدال بالتي هي أسوأ وليس جدال بالتي هي أحسن وهذه المذمومة التي يذمها الشيخ - رحمه الله - هنا ويريد ذلك.

المتن: (قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على من يجادل في القرآن...).

الشرح: أبو العالية وهو بن مهران الرياحي، وهو ممن أدرك الجاهلية والإسلام، ولم يسلم إلا بعد موت النبي ﷺ بسنتين، وهو من كبار التابعين، وله حِكم وله تفسيرات ولذلك هناك بعض الباحثين مَن جمعوا كلماته في التفسير.

المتن: (قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على من يجادل في القرآن قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾).

الشرح: قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[غافر:٤] يعني هذا جدال بقصد التكذيب والعناد والتفسير الباطل.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾[البقرة:١٧٦] فهم أهل مشاقة ومعاندة ومجادلة، فهذا شقاق كما ذكر الله ﷻ الشقاق على وصف الذم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

وهذا في المنازعات فيأتي بقولٍ ينازعُ قولَ الشرع لينازع ما أتى في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما أتى عن الصحابة ﷺ؛ فيشاق فيقابل الحق بالباطل، هذا مذموم ومتوعد.

قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[غافر:٤] هذا وصفٌ للكافرين، فهل تريد أن تكون كصفاتهم؟ لا.

المتن: (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جدالٌ في القرآن كفر» رواه أحمد وأبو داود وإسناده جيد).

الشرح: لأنه سيُلجيء إلى التكذيب، وهذا الحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

قوله ﷺ «جدالٌ في القرآن كفر» لأنه ملجيء إلى أن يطغى الإنسان وربما يرد آية أو يرد سنة فيقع في التكذيب- نسأل الله السلامة- .

فأولئك قالوا: لا نريد إلا القرآن فقط غيره ما نريد. سموهم القرآنيون لأنهم قالوا فقط القرآن أما السنة فلا. أما نحن فعلى القرآن والسنة ليس فقط القرآن من دون السنة لقول النبي ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي».

فالناس في هذا أربعة أحوال:

- الحال الأول أن هناك من أخذ بالقرآن وترك السنة؛ هذا مردودٌ عليه.
- وهناك من أخذ القرآن والسنة ولكن فسرها على غير هدي الصحابة رضي الله عنهم.
- وهناك من أخذ القرآن والسنة وسار على هدي الصحابة رضي الله عنهم؛ وهذا الذي نؤكد عليه وندندن عليه.

المتن: (وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قومًا يتمارون في القرآن، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»).

الشرح: النبي ﷺ لا يحب الجدال ولا الاختلافات للمماراة لأنها ليست على وجه ماذا؟ ليست على وجه المناصحة إنما على وجه المغالبة، لاحظتم الفرق.

فرقٌ أن تكون على وجه المناصحة وأن تكون على وجه ماذا؟ المغالبة. فإذا ذكرها على وجه المغالبة انسحب، انسحب واتركه فهو ليس صاحب حق ولا طالب حق؛ إنما هذا مبرز ذاته أو شخصه أو من يريد أن يبرزه، فهذه النوعية من الناس هو قد جعل أشياء في الذهن كأنما يقول أنت لست أهل لأن توجهني، أنت بحاجة إلى توجيه فدونك ذلك، فيبدأ الطرح على وجه المغالبة والتكذيب ورد الحق الواضح البين، بل ربما أنه يجادل في القرآن فيكفر بذلك، لماذا؟ لأنه يرد الآيات ويرد القرآن.

فأحدهم لما أقيمت عليه آيات في مسألة الدعاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[يونس:١٠٦] قال: هذه الذي عندكم أنتم يا الوهابية! ما عندكم إلا هذه الآيات!

الله أكبر، هذا رد لماذا؟ للقرآن.

وأحدهم لما قيل له قوله سبحانه ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

قال: هذا الذي عندكم أيها المشبهة!

آيات من القرآن، حتى أحدهم من علماء الضلال يقول: وددت أن أحكّ هذه الآية. لماذا؟ لأنها تخالف ما عليه مذهبه. فتجد أيضًا غلاة ومماراة حتى في المسائل الفقهية، يقول: فكل آية في كتاب الله أو حديث عن رسول الله يخالف ما عليه مذهبنا فالآية منسوخة والحديث ضعيف.

فجعل الأصل ما هو؟ مذهبه!

انظروا! جدالات.

الآن في هذا العصر عندما تكلم الناس في الاستقامة وحقوق العلماء وحقوق ولاة الأمر .

قال أحدهم: هذا الذي عندكم يا جامية! - يسمونهم هكذا بالجامية - ما عندكم إلا هذا... ولاة الأمر... !

الرسول ﷺ يقول: «اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» .

أتسمع وتطيع أم ماذا؟

يقول: لا أسمع ولا أطيع، ولا هم بآخذين مالي ولا ضاربين ظهري .

رد على من؟!

الرسول ﷺ يقول: «اسمع وأطع» هذا دين الله ﷻ، حقك الذي لك إن لم تؤداه اليوم ستأخذه ذلك اليوم، يقول ﷺ: «فأدوا حقهم الذي لهم وسلوا الله حقكم الذي لكم» .

يقول النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم: «اسمعوا وأطيعوا ولو على أثرة عليكم» .

يعني مقدَّم غيرُكم في حظوة الدنيا والمال والسلطان أو غير ذلك، فتجد بعضهم يقول: هذه الأحاديث التي أنتم تحتجون بها، أنتم ما تعرفون من الآيات والأحاديث إلا هذه .

ولا يسعك!

ألم تسعك هذه الآيات؟!

ألم يسعك هذه الأحاديث؟!

إذن لم تسعك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في البخاري ومسلم - يا مجرم - ماذا يسعك؟

يا خبيث الطوية، يا فاسد المقصد، معناه أنك لا تريد القرآن والسنة، ماذا تريد إذن؟!

في العقيدة.. في الأسماء والصفات.. لا تريد القرآن، وفي الدعوة.. واستغاثة بالله.. لا تريد الأحاديث، وفي استقامة الناس لا تريد ذلك!

والنبي ﷺ يوصي بهذا قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة» لـمَّا قال باختلاف الأمور ووعظ موعظة قالوا: أوصنا يا رسول الله، فإنها موعظة مودع . قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي» .

فيأتي هذا: أنتم ما عندكم إلا هذه الأحاديث!

ألا ترضيك ؟ ألا تسعك ؟

هذا هو سبب الانحراف والهوى، ولذلك يعترض بالجدال ويجادل في القرآن ولذلك «جدال في القرآن كفر» .

المتن: (باب ما جاء في الاختلاف في القرآن في لفظه أو معناه وقول الله عز وجل: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ الآية) .

الشرح: قال هنا (باب ما جاء في الاختلاف في القرآن في لفظه أومعناه) أي: باب ما جاء في النهي عن الاختلاف في القرآن، في لفظه: من حيث الرواية والأحرف والقراءات، أو معناه: من حيث تفسيره وتأويله، ثم استشهد بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ الآية، قبلها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، هذه حكمة.

الاختلاف حصوله أمر كوني قدري؛ أي هو كائن، وقدَّر الله ﷻ أن يكون كغيره من الأمور التي قدَّر كينونتها ونهى عن ممارستها كسائر المحرمات.

الزنا نهى عنه ومع ذلك يحصل أم لا؟ وقد قضاه الله قبل أن يخلق الخلق على هذا أن يفعل هذا، وهذا يفعل كذا ويفعل كذا.

ولكن هل هذا الفاعل لهذا الفعل يعلم أنه سيفعل كذا أوكذا؟ لا.

وهل يعلم أن الفعل الفلاني فعل محرَّم أم فعل جائز؟ محرَّم.

هل مواقعته للحرام باختيار وإرادة مع معرفة الحكم أم لا؟

إذن هو مجازى أم غير مجازى؟ مجازى.

لماذا يجازى؟ لأنه فعله باختياره وبإرادته وليس هو مجبور على الفعل، بل يعلم أن الفعل محرَّم، وهذا القضاء الشرعي؛ هذا ما قضاه الله وأمر به شرعًا، أما ما قدَّره الله أنه سيكون فأنت لا تعلم عنه يكون أو لا يكون، واضحة، هذه المسألة زلَّت فيها طوائف ما بين الجبرية والقدرية، فاحمدوا الله ﷻ على فضله.

نأتي لمسألة الخلاف:

الخلاف أخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة ستختلف وهذا خبر، فهل الخبر دليل على جواز الفعل؟ لا.

لأن الأمر أتى بالاجتماع وعدم الخلاف، آيةٌ في كتاب الله دلَّت على ذلك، وهي قوله سبحانه ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣] إذن أمر بماذا؟ بالاجتماع.

إذن الاختلاف واقع، حكمه ممنوع، فلا يأتيني الآن آتٍ يقول: الآن الناس مختلفين وهذا أخبر عنه النبي ﷺ، فلماذا تأمر الناس بالاجتماع والنبي ﷺ أخبر أنهم سيفترقون؟

النبي ﷺ أخبر أنهم سيفترقون ولكن خبره عن ذلك ليس دليل على جواز فعل ذلك.

ثم هل أخبر ﷺ به على وجه المدح أم على وجه الذم ؟ على وجه الذم ، فتجد بعض الناس- نسأل الله السلامة- يخالف الأوامر الشرعية ويزين للناس المخالفة فيها فيقول: إن الاختلاف ظاهرة صحية وأمر محمود وشيء جميل أن نختلف وأن نفترق!

لا ، والله ما هو بشيء جميل ؛ بل شيء قبيح ومذموم ، وذمَّه الله ﷻ وذمَّه نبيه ﷺ ، وهو من عنوان الشر .

وأذكر كلمة لشيخنا - جعله الله في الجنة - الشيخ ابن باز لما سُئل عن كلمة «اختلاف الأمة رحمة» ؟ قال: أعوذ بالله ، متى كان الاختلاف رحمة ؟ بل الاختلاف شر ليس رحمة ، الاختلاف شر ليس رحمة .

هذا هو الصحيح ؛ يعني الاجتماع هو الرحمة ما هو بالاختلاف ، ولكن هكذا لُبِّس على الناس .

إذن الاختلاف لا يجوز ، الاختلاف محرَّم لأن الله ﷻ أمر بماذا ؟ أمر بالاجتماع ، ولما يذكر صفات المخالفين من اليهود والنصارى وعموم المبطلين يذكر اختلافهم على وجه ماذا ؟ على وجه الذم .

ثم الاختلاف فيه أنواع :

- فيه اختلاف تضاد .
- وفيه اختلاف تنوع .

يعني القراءات : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٣-٤] .

﴿ ملك يوم الدين ﴾ هذه قراءة ، ﴿ مالك يوم الدين ﴾ وهذه قراءة ، وهذا فيه اختلاف لكنه وارد ، وليس هو من الممنوع ؛ إنما هو من اختلاف القراءات التي كلها صحيحة ، ورد هذا وورد هذا .

الآن الصلاة إذا صليت ما في أدعية استفتاح ؟ كم دعاء ورد ؟ ما اختلفت الأدعية كثيرة؟ ، هذا يختر دعاء ، وهذا يستفتح صلاته بهذا الدعاء ، كلها ورد أم لا ؟

إذن الشيء الذي ورد لا تستطيع أن تجعل الناس على شيء واحد ؛ لأن كلها وردت ، ورد هذا ، وورد هذا ، وورد هذا ، فما تلزم الناس على شيء واحد لأن هذا يعمل بدليل وهذا يعمل بدليل ، وقد أحسن من انتهى إلى ما قد سمع ، بالحجة والبيان .

لكن التضاد هو الممنوع ؛ يأتي هذا يفسر في العقيدة ويحرف في الأسماء والصفات ، أو في العبادة ، أو البدع والأهواء ، ثم يقول: ما فيها شيء! الاختلاف وارد ، والاختلاف جائز .

لا ، هذا النوع من الاختلاف ممنوع وليس مشروع .

هنا يقول: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ الآية .

مفهوم المخالفة: الذين رحمهم ربك لم يختلفوا .

واضحة ، الذين رحمهم ربك لم يختلفوا ، وأما الذين افترقوا فهم ليسوا ممن رحم ، فهذا أثر وجزاء اختلافهم وافتراقهم ، فربما يُخرج الإنسان نفسه من دائرة الرحمة التي وسعت كل شيء فلا يكون ممن رحم .

المتن : (وقوله : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ ﴾ الآية) .

الشرح : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة:٢١٣] ، متى؟ بعدما اختلفوا .

من يحضره أثر في البخاري عن الصحابي الجليل عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما - أتى عنه أثر بنحو هذا المعنى؟

الأثر أتى في البخاري معلَّق عن ابن عباس- رضي الله عنهما - لما تكلم عن ذرية آدم عليه السلام ، قال : (كان الناس عشرة قرون على التوحيد ، فاندرس العلم . . .) .

الله أكبر! علم ماذا ؟ علم التوحيد والعقيدة .

الآن بعض الناس عن درس التوحيد والعقيدة يقول : توحيد ، توحيد ، توحيد ، عقيدة ، عقدتم الناس!

هذه كلمة شيطانية خبيثة ، والمشكلة أنه يقولها بعض أهل البدع من الفرق والجماعات ، وبالمناسبة نحن أهل السنة والجماعة ، ما هو بـ : الجماعات ؛ الجماعات مذمومة ، ما عندنا شيء اسمه جماعات ؛ نحن جماعة واحدة ، قال ﷺ : « فالزم جماعة المسلمين وإمامهم » ما هو بـ : جماعات .

الذين دينهم جماعات هؤلاء فرَّقوا دينهم شيعًا ، نحن جماعة واحدة ولذلك النبي ﷺ يقول : « من أراد بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة » .

إذن ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ... ﴾ أي على التوحيد ، ثم حصل ما حصل فوقعوا في الشرك ، فأرسل لهم الأنبياء والمرسلين ليعلموهم التوحيد كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] .

المتن : (وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رجلا يقرأ آية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها ، فأخذتُ بيده فانطلقتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرتُ ذلك له ، فعرفتُ في وجهه الكراهة ، فقال : « كلاكما محسن ، فلا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا ») .

الشرح : إذا قال : (في الصحيح) ماذا يقصد ؟ يقصد البخاري ومسلم .

انظروا لما حصل بينهم خلاف ماذا حصل ؟ أخذ بماذا ؟ أخذ بيد أخيه - الله أكبر- هذا الواجب .

حصل بينك وبين مَن حصل خلاف خُذ بيده واذهب إلى من هو أعلم ، فأخذ بيده وذهبوا ، الآن غالب الخصومات والاختلافات على وجه المغالبة ؛ من الذي يغلب؟ من الذي يُسكت الثاني؟ من الذي ألجمه حجر ، وألقمه جمر ، وأخنسه ، وأخرسه؟ ما هذا !

إن كان من المبطلين من دعاة الشرك والكفر فيستحق ما جرى ، وأما إذا كان هذا الذي بينهم من اختلاف التنوع فيكون مثل هذا ، أخذ ماذا ؟ أخذ بيده .

حصل بينك وبين أحد من الخلاف في المسائل التي ربما يكون فيها الخلاف ، قد لا يظهر وجه الدليل عندك ، فيما قد ظهر عنده أو كذا ، تذهب أنت معه إلى من؟ إلى أهل العلم تسألهم ، وبكل سعة صدر : هذا كذا ، وهذا كذا ، والمسألة كذا ، وهذا قال كذا .

وانظروا ماذا حصل؟

قال : (فأخذتُ بيده فانطلقتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرتُ ذلك له . . .)

والسبب أنه سمع منه آية خلاف ما سمعه من النبي ﷺ ، وهو ابن مسعود ﷺ معروف ، من علماء الصحابة ﷺ ، فلما قرأوها على النبي ﷺ صحَّح الاثنين ، لكن قبل ذلك عُرف في وجهه الغضب .

لماذا النبي ﷺ كره هذا ؟ للخلاف الذي حصل ؛ لأن ربما أحيانًا بعض رفع الأصوات والمشادة في الكلام وهذا اللجج ربما يكون سبب في ارتفاع الخير ، كما حصل لما أُعلم النبي ﷺ بليلة القدر فأتى للصحابة ﷺ وكان يريد أن يخبرهم ، فإذا بهم لهم شيء من الخلاف وقد ارتفع الصوت ، فكان بسبب ذلك أن قال لهم : « نُسِّيت » ، ولذلك الاختلافات تمنع الخير ؛ فدائمًا ليكن نصب عينيك الاستقامة على الدليل ، ودع منك المجادلة والمراء والاختلافات التي ليس منها ثمرة .

قال ﷺ : « كلاكما محسن » يعني قد أتقن فيما أتى فيه وأحسن وأصاب .

قوله ﷺ : « فلا تختلفوا . . . » يعني كون كل منكم على طرفٍ من صواب لا تختلفوا ، لا تفترقوا ، لا تدابروا . ربما تجد بعض الإخوة على عقيدة واحدة ، وعلى منهج واحد ، وموقفهم من أهل البدع واحد ، ومن المخالفين واحد ، وفي سمعهم وطاعتهم لولاة أمورهم ، ولاستقامتهم على السبيل والسنة واتباع أهل العلم مواقفهم واحدة ، ولكن تجد بينهم ما بينهم ؛ وما ذلك إلا لحظوظ النفس ، ربما تجد أمور شخصية ، وأمور نفسية ، أو قضايا مالية ، أو نواحي اجتماعية ، ويريد أن يقلبوها ويجعلوها منهجية ، وحقيقتها الخفية أنها أمور ذاتية شخصية ونفسية ومرضية ، ليست عقدية ولا منهجية ولا دينية ، فكونوا من مثل هذه النزعة على تقية ، فربما يُلبَّس على الإنسان حتى يرى أنه على الصواب وما هو إلا منتصر لهوى نفسه ومحقق لرغبته وشهوته الخفية ، وربما كانت حسد أو كمد فغمز وهمز ولمز ، لا لشيء إنما لما قد بلغ هذا من منزلة أو سامعة ، فتجده يطعن طعنًا خفيا ، ويقع في أخلاقيات وسلوكيات قذرة يوحي له الشيطان فيها ويزينها له .

احذروا يا أصحاب العقيدة الواحدة والمنهج الواحد والدعوة السلفية الواحدة من هذا المدخل الخطير الذي يدخل به الشيطان للتحريش بينكم .

ولا يُفهم من كلامي هذا أني أعني به من زلَّ في مسألة عقدية ، أو زلَّ في قضية منهجية ، أو زين للبدعة أو لأهل البدع أو يثني عليهم ، لا ، ليس كلامي عن هؤلاء ، كلامي عن من دائرهم واحدة ، ومنهجهم واعتقادهم واحد ، وسلوكهم واحد ، ولكن حرَّش الشيطان بينهم ، فتجد هذا معه وهذا معه وكوَّن كلا منهم معه فريق فأصبح تعصب ، وهذا مذموم .

هنا قال النبي ﷺ : « كلاكما محسن ، فلا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » إذن من أعظم آثار الاختلاف : الهلكة ، فالهلكة بسبب ماذا ؟ الاختلاف .

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [النحل:٣٦] فيكون الفشل قريب لأمركم ، وقوتكم تذهب ، وهذا ما يريده المخالف الضال أن تذهب قوتكم وريحكم وأن تتفرقوا ويطعن بعضكم في بعض ، فيقول بعضهم لبعض : قد كفيتم إياهم ، فأصبح بعضهم يأكل بعض .

لا يدخل عليكم الشيطان من هذا المدخل .

المتن : (وفيه أيضًا عن ابن عمرو- رضي الله عنهما- قال : هجّرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ...) .

الشرح : هجَّرت يعني : خرجت في الهاجرة ، وهي شدة الحر قبيل الظهر .

المتن : (وفيه أيضًا عن ابن عمرو- رضي الله عنهما- قال : هجّرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسمعت أصوات رجلين اختلفا في آية ، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرف في وجهه الغضب ...) .

الشرح : لماذا عُرف في وجهه ﷺ الغضب؟ لأنه ﷺ ما يحبهم يختلفوا ، أهل منهج الواحد والطريقة الواحدة لماذا يختلفون؟ أمرهم واحد لماذا يختلفون؟

أذكر كلمة - يجعله في الجنة - للشيخ عبدالله بن غديان لما تكلموا ويسألون عن الجماعات والتبليغ والإخوان والفرق وهكذا ؟ قال : هدفهم ليس واحداً ، لو هدفهم واحد ومقصدهم واحد ما اختلفوا ؛ لكن كل منهم له هدف يسعى لتحقيقه ، وأما الذي يريد وجه الله ﷻ فهذا هو هدفه .

ولذلك هم لا يريدون الدعوة النقية السلفية ، ما يريدونها بدليل أن كل منهم انتمى إلى توجهه وحزبه وفرقته .

المتن: (... فقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»).

الشرح: هنا اختلفوا في الكتاب، ويعني به ماذا ؟ القرآن والسنة؛ لأن كلها وحي، اختلفوا في القرآن والسنة، فإذا تركوها ضلوا وهلكوا، إما أن يغلوا فيها أو أن يجفوا فيها، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة:٧٧].

النبي ﷺ حذَّر الصحابة رضي الله عنهم في رمي الجمار، قال: «بمثل هذه وإياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»؛ لما غلو في الدين، إذن هذا الاختلاف اختلاف في أمور الدنيا والأكل والشرب والثياب واللباس أم اختلاف في الدين ؟

ولذلك النبي ﷺ لما وصَّى الصحابة رضي الله عنهم في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، حديثٌ مشهور معروف، لما قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة... إلى آخره، قال: فلعلها موعظة مودع يا رسول الله فأوصنا. فقال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرا».

قوله ﷺ: «من يعش منكم» دلَّ على أن منهم مَن سيموت ليس هو بمدرك ذلك.

وقوله ﷺ: «بعدي» دلَّ على أن الخلاف يكون بعد مَن ؟ بعد النبي ﷺ.

والعلاج ذكره النبي ﷺ قبل أن يُبين سبب الاختلاف، قال ﷺ: «فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها» في اثنتين في البداية: سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء، لكن حكمها ماذا قال ؟ قال بهما أم قال «بها» ؟ قال ﷺ «تمسكوا بها» لأنها هي نفسها واحدة؛ لأن ما عليه الصحابة رضي الله عنهم هو ما عليه النبي ﷺ ليس شيء آخر.

وقوله ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها» هذا هو العلاج.

سبب هذا: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة» إذن سبب اختلاف الأمة: البدع.

إذن هذا الأمر يتكلم عن الاختلاف في الدين أم في أمور المعاش في الدنيا ؟ في الدين.

حمانا الله وإياكم من شر الاختلاف في الدين.

والنبي ﷺ لا يغضب إلا لأمر ديني، أما أمر شخصي ونفسه فالنبي ﷺ لا يغضب لنفسه؛ يأتي أعرابي فيجرُّ بُرد النبي ﷺ ويؤثر في رقبته الشريفة ﷺ، فيقول: يا محمد. فيلتفت إليه بكله ما التفت إليه هكذا، يلتفت إليه بكله ويقول نحوًا من كلمة «هاؤم» يعني: نعم. يقول: اعطني من مال الله الذي آتاك. فيقول اعطوه.

النبي ﷺ لا يغضب لنفسه، لكن لما يكون الأمر في جانب الدين يُرى في وجهه؛ هذا هو الغضب لله، بعض الناس لا يُرى الغضب لله في وجهه، فربما تحصل المصيبة والمنكر أمامه فتجده مستلذًا بذلك فرحًا مسرورًا مغتبطًا بأن مُكِّن من هذا المنكر- نسأل الله السلامة -، بل بعض الناس لا ترى في وجهه أثر

امتعاض من ذلك المنكر ، والنبي ﷺ يُرى في وجهه إنكاره لهذا المنكر وغضبه لهذا الفعل الغير محمود ، ويعرفون ، كانوا يتلمسون ردود أفعال النبي ﷺ في وجهه ، ابتسامته ، غضبه ، يلتفت من الفعل والفاعل وينصح وينبه ، تارةً بالعموم : « ما بالُ أقوام ... » ، وتارةً بالخصوص : « يخرج من ضئضيء هذا ... » ويشير إليه إشارةً ، وتارةً ... وهكذا ، فكانوا يهتمون بردِّة فعل النبي ﷺ لأنهم يعرفون من خلالها – هذه الردة للفعل – هل هذا الشيء جائز أو غير جائز؟

فيقول : (يُعرف في وجهه الغضب ...) .

المتن : (وفي المسند عنه من حديث عمرو بن شعيب قال : كنا جلوسًا بباب النبي صلى الله عليه وسلم ..) .

الشرح : وهذا انتظار لخروجه ﷺ ، كما يجلس في باب الوجيه ، أو الكبير ، أو من ينتظرونه ، مثلا انتظرت والدك وجلست على الباب تنتظر مخرجه ، أو انتظر ولي الأمر أو السلطان ، أو انتظر مثلا القاضي ، هذا كله من هذه الأمور التي فيها شيء من التقدير والاحترام لا على وجه التعظيم .

المتن : (وفي المسند عنه من حديث عمرو بن شعيب قال : كنا جلوسًا بباب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : ألم يقل الله كذا وكذا ؟ وقال بعضهم : ألم يقل الله كذا وكذا ؟ ...) .

الشرح : بدأوا يتمارون ، والمراء مذموم ، والمجادلة لغير الوصول للحق مذمومة ، فأصبح عندهم هذا الأمر فارتفعت أصواتهم وهم بباب مَن ؟ ارتفعت أصواتهم وهم بباب النبي ﷺ .

المتن : (... فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج كأنما فقيء في وجهه حبّ الرُّمان ، فقال : ...) .

الشرح : انظروا الواصف ، كما ذكرت لكم قبل قليل يرون في النبي ﷺ أنه ... ، وهذا سلوك موجود ، أحيانًا يفعل الصغير الفعل وينظر للكبير فيجد فيه إقرار أو إنكار ، فإن وجد الابتسامة واصل الفعل ، وإن وجد النظرة فيها لون من الغضب ، لا يحتاج الصغير أن تضربه أو ترفع الصوت عليه ؛ إنه يرتدع بالنظرة ، وهذا أسلوب تربوي ، ولذلك تجد الصغير ما يصلح تضربه ؛ ما يفهم أصلا الضرب ؛ لأنه لم يعلم الخطأ حتى يعلم أن هذا عقوبة لذلك الخطأ ، هو لم يُميز ولذلك قالوا : دون سن التمييز . صغير ، إنما تكفيه النظرة ، فالابتسامة يشعر أنه فعل شيء مستحسن فتجده يستمر حتى وإن كانت الكلمة قبيحة ، بعض الناس يضحكون ، فالصغير عندما يقول كلمة سيئة وقذرة فتجدهم ... فهو يشعر ... ، هو لا يعلم أصلا معنى الكلمة أنه سيء فيرددها وهم يضحكون ، فيظن أن هذا فعل حسن ، فلو أتى مجمع قالوا : ماذا قلت ؟ قلت كذا ، فيرددونها .

أنا جنحت شوي لكن أريد أن أصل إلى لفتة أن الصحابة ﷺ كانوا يراقبون حركات النبي ﷺ ، بل يرون ذلك في وجهه ﷺ ، وانظروا الواصف لدقة وصفه قال : (كأنما فقيء في وجهه حبّ الرُّمان) لأن الرمانة إذا استوت تصبح حمراء ، يعني يرون ذلك في وجه النبي ﷺ ، والبشرة ... يعني ... ، سميت البشارة لأثر تغير البشرة ، فترى في وجه الإنسان سواء بشارة خير أو بشارة ... ، فكلها مما يبشر به الإنسان ، فتجد أثرها تغير على وجهه ، بشره تغير ، بشرته إما حمراء أو أحيانا صفراء ، فلذلك سميت البشارة لتغير البشرة ، فهنا كانوا ﷺ ينظرون إلى وجه النبي ﷺ كأنما فقيء في وجهه حب الرمان لشدة غضبه من هذا الفعل ، وهو لا يغضب لنفسه ﷺ إنما يغضب لله ، بخلاف الذي ينكر الشيء ولا يُستجاب له فيتحول غضبه لله إلى غضب لنفسه ؛ فتجد الرد بخلاف الفعل ، وربما وقع في المنكر وهو يريد أن ينكر منكر ، فتجد وجهه تغير ، هذا الذي أراد أن ينكر المنكر فوقع في أمر هو منكر ، فلما غضب ... ، ولذلك النبي ﷺ يقول : « لا تغضب ، لا تغضب ، لا تغضب » ، والنبي ﷺ هنا يقول الصحابي : (فرأينا في وجهه الغضب) إذًا الغضب منه : غضب محمود ، وغضب مذموم .

الغضب المحمود : الذي لله وفي الله .

أما الغضب الغير محمود : فهو انتصار للنفوس ، نعم يتغير وجهه إلى أحمر ، فتجد تغير وجهه أنطق لسانه ، ونطق اللسان يمد اليد ، ولذلك إذا غضبت أمسك لسانك ويدك لأنك ستعتذر مما يصدر منك سواء باللسان أو باليد .

اليوم غالب المحاكم كلها من جانب أثر الغضب ، الطلاق والمعاملات والبيوع والشجار والقتل والنزاع وكلها من جانب الغضب ، أكثرها غضب ، مراكز الشرطة من هذا الجانب ، أكثر القضايا كلها أثر من آثار الغضب ، ولذلك قول النبي ﷺ : « لا تغضب » من الوصايا الجامعة .

يقول : (فرأينا في وجهه الغضب) ، هنا قال : (فخرج علينا كأنما فقيء في وجهه حب الرمان) .

المتن : (... فقال : « أبهذا أمرتم أو بهذا بعثتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ ...) .

الشرح : إذن هذا خلاف الأمر الشرعي وخلاف هذه الرسالة ؛ فهي بعثت بالرحمة ، والرحمة اجتماع ، وأما هذه الأمور فلا يحصل منها اجتماع ، إنما يحصل منها افتراق ، هذا يقول كذا ، وهذا يقول كذا .

المتن : (« ... إنَّما ضلَّت الأمم قبلكم في مثل هذا ، ... ») .

الشرح : يعني في الاختلاف ، والمنازعات ، والمماراة ، والمجادلات .

المتن: (... إنكم لستم مما ها هنا في شيء، انظُروا الذي أُمرتم به فاعملوا به والذي نُهيتم عنه فانتهوا عنه » ...) .

الشرح: فقط، امتثل الأمر وانتهِ عن النهي تُوفق .

لكن غالب الخلاف تجده أمر بأمر لم يُؤمر به، أو نهى عن نهي لم يُنهَ عنه، أو بلغ في مراتب النهي أن جعل المكروه محرَّم، أو بلغ في مراتب الأمر أن جعل المندوب واجب . واضح .

إذن هناك خلل؛ إما أن يغلو في الأمور الدينية فيجعل الأمور المباحات مستحبات، هي مباح فعلت ما فعلت أتيت ما أتيت؛ أمرٌ مباح .

لا، تجده يُلزم الناس مثل: البيوع والشراء أصلها مباحات فتجد مَن يُحرِّم على الناس البضاعة الفلانية .

أمس حلال واليوم صارت حرام !

مَن حلَّل ومَن حرَّم ؟

البيع والشراء لا علاقة له بالولاء والبراء؛ مات النبي ﷺ ودرعه مرهون عند يهودي، واليهود هم أشد أعداءنا، البيع والشراء ما له علاقة بالولاء والبراء، ما له علاقة بأمور ...، ولكن الآن أصبحت مناحي سياسية وأمور بين الدول، وهذه المسألة إذا حصل أن ولي الأمر أَمَر بذلك فتأخذ منحى آخر في أن هذا الأمر إذا أَمَر به ولي الأمر تأتي الطاعة فيه .

أو أن يغلو في الإنكار فيجعل المكروه محرَّم، فيخالفون في الأمر الشرعي .

فبهذا ما أُمرتم ولا بُعثتم، فقال ﷺ: « انظُروا الذي أُمرتم به فاعملوا به والذي نُهيتم عنه فانتهوا عنه » .

يأتيك أشخاص يتكلَّمون عن أمور وعن أشياء... لو سألته عن أحكام الطهارة ما هو بضابطها ! لو تكلمت معه في أمور الصلاة ما يعرفها ! وهو بيتكلم عن الأمة وشؤون الأمة وأمر الأمة !

عليك بشؤون نفسك وأمر نفسك، أنت مضيع أحكام في الشرع في نفسك، وأمور الأمة وشأن الأمة لمن تولى أمر الأمة ليس لك أنت .

لكن يريدوا أن يشغلوا الجميع، فتجد الخباز في مخبزه، والحلاق، وتجد البقال، وتجد صاحب الخضار، الكل يتكلم في شأن وفي الأمر وفيما يفعل في كذا ويفعل في كذا !

أحسِن أمرك الذي أنت فيه، وما ليس لك فيه فله مَن هو يقوم به ويُسأل عنه عند الله ﷻ يوم القيامة .

أصبح كلٌّ يحترم مسألة التخصص إلا أمر الدين، أصبح كلٌّ يريد أن يكون هو إمام الأمة! صحيح أم لا؟ موجود أم لا ؟ وهذا هو الحاصل الآن، أمور الدين والأشياء التي لا تقوم إلا على الوحيين يريد أن يتكلم فيها بالعقل، ما استحسنه عقله أو ما استقبحه عقله، وهذه هي المشكلة عندما تصبح موازين الحق والباطل ليس في الوحيين – في الكتاب والسنة – إنما عقول الرجال .

العقول تختلف ؛ كلٌّ له عقل ، ليس هناك عقل يعتبر هو الأم ترجع له العقول ، أبد ، وكلها على مكتسبات أو تحصيل أومحاكاة أو تلقين فانبنى عنده معرفة الأشياء والحكم عليها من خلال خلفية ما أتى في الذهن .
فما مصدره؟ إن كان على الوحيين فهو في دائرتها وفي فلكها ، وإن كان غير ذلك فهو كذلك فكلٌّ إناءٍ بالذي فيه ينضح .

المتن : (... وفي رواية : (خرج وهم يتنازعون في القدر) . وكذا رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وفيه : (خرج ونحن نتنازع في القدر) وقال : حسن) .

الشرح : نسخة الترمذي ليس فيها قول (حسن) بل قال : (غريب ولا نعرفه إلا من هذا الوجه) .
وهذه كلها فيها مقال ، هذه الأحاديث فيها مقال إلا أن الحديث الأول صحَّحه أحمد شاكر ، صحَّحه في المسند المجلد الحادي عشر صفحة ٧٣ ، والذي بعده ذكره في صفحة ٧٤ ، وأشار إلى أنها فيها ... ، ثم بعد ذلك حسَّنه .

المتن : (باب إذا اختلفتم فقوموا ، في الصحيح عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه ») .

الشرح : هذا باب (إذا اختلفتم فقوموا) يعني : تواصلون في الاختلاف وماذا ستكون النتيجة ؟
اختلفت أنت وشخص ثم بدأتم في الكلام وبدأتم النقاش وماذا تكون النتيجة ؟ مغالبة .
فرقٌ بين المذاكرة والمناصحة وأن تكون البغية الحق ، وفرقٌ بين أن تكون النتيجة مغالبة وغلبة ، فترتفع فيها الأصوات وتأتي حظوظ النفس ولا يكون المقصد وجه الله ، وللشيطان في مثل هذه المجالس نصيب .
قوله ﷺ : « اقرأوا القرآن ما اتلفت قلوبكم » يعني : ما اجتمعت ؛ لأن القرآن عملٌ صالح ، قراءته عمل صالح ، فإذا كان هذا الاختلاف والتفرق .. هذا قال : ﴿ ملك يوم الدين ﴾ هذا قال : لا ، ﴿ مالك يوم الدين ﴾ . إلا أنا الذي قراءتي صح ، لا أنت الذي قراءتك كذا ...!
لا ، انتهى ؛ لا يستمروا فتصل النتيجة إلى أن يدخل الشيطان .
« فإذا اختلفتم فقوموا عنه » قوموا وماذا تنتظرون ؟ تنتظروا نتيجة سيئة .
لا ، لأنه رحمة واجتماع ، والتفرق يكون في المنازعات في هذه الأمور ، ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴾ [البينة:٤] ، الشيء البين الواضح موجود ، فاختلفوا في هذ البين الواضح ، إذن ماذا سيكون الاجتماع عليه؟ مشكلة ، ولذلك هذه آثار الفرقة – نسأل الله السلامة – : ضعف القوة ، وغلبة الخصوم ، وتشتيت الشمل ، وضعف المودة ، وموت الألفة ، والتدابر والتنازع .
الله المستعان!

أكثر ما يعانيه الآن الكثير ممن هم على هذه الدعوة المباركة – الدعوة السلفية – هي مداخل الشيطان التي تأتي بينهم في المشاحنات ، انتبهوا منها !

تجاوزا المشاحنات ، تجاوزوا حظوظ النفس ، تجاوزوا ظن السوء ، تجاوزوا المراء والمغالبة ، تجاوزوا التعصبات ، تجاوزوا الاستعجال في الأحكام والبحث عما يوافقه فيما زلَّ به ، أمور ينبغي لها أن تُتجاوز حتى يصبح الإنسان بغيته الحق وليس مريض فقط لا يبحث إلا عن نصرة نفسه وإبراز نفسه ؛ فيدخل عليه الشيطان من جانب الرياء فلا يرى إلا نفسه ، ثم تبدأ تستمر معه الأمور حتى يصبح مفتون في نفسه ، فنعوذ بالله من ذلك ، ولذلك من أشد ما يُحذر عليها من أبناءه وإلا مَن ليس منها لا ينسب لها ولا يُأبه له ، ولكن من كان منها وفيها فيحصل منه ما يحصل فالله المستعان .

المتن : (ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه : «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده» . قال : فقال عمر ﷺ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وإن عندنا كتاب الله حسبنا . وقال بعضهم : بل ائتوا بكتاب . فاختلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قوموا عني ولا ينبغي عند نبي تنازع») .

الشرح : وهذه القصة معروفة ، ولذلك ماذا يقول ابن مسعود ﷺ ؟ (من كان يريد أن ينظر إلى وصية رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] الوصايا العشر التي آخرها وصية ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام : ١٥٣] ، وكلها ختمت بـ ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

أولها ماذا قال ؟ قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

فهذه الوصايا هي وصاياه ﷺ ، ولذلك لأهل العلم تعليقات على هذه الوصايا ، وهي عشر وصايا سميت (الوصايا العشر) ، ومن المتقدمين ومن المتأخرين من أفردها بشيء من البيان ، بل في مجموع التفاسير تجد أن لأهل العلم فيها عناية ، وممن أُفرد له في ذلك رسالة للشيخ ابن عثيمين – رحمه الله– في الوصايا العشر ، وهناك أيضًا بعض المواد الصوتية مسجلة لبعض العلماء ، كالشيخ ابن باز– رحمه الله – وغيره من العلماء – رحمهم الله وبارك الله في الأحياء – تجدهم يفردون هذه في مجالس مستقلة وربما مجلسين ثلاثة ، يعني لو فرغت لكانت مادة علمية تنشر ويستفاد منها في الناس .

المتن: (ولمسلم عن ابن مسعود ﷺ أنه قرأ سورة يوسف، فقال رجل: ما هكذا أُنزلت. فقال: أتكذب بالكتاب؟).

الشرح: أي نعم لأن هذه الآثار النتيجة التي ربما تحصل ستكون على هذا الوجه، هنا قال: (ما هكذا أنزلت) فقال: (أتكذب بالكتاب)، يعني المجادلة بالقرآن - الحديث الذي مرَّ بنا - كُفر « جدال في القرآن كفر »، مثل هذه الكلمة التكذيب بالقرآن لا شك أن التكذيب بالقرآن كُفر، لكن إذا اختلفوا في القرآن فقال ﷺ: « فقوموا عنه » لأن مثل هذه النتيجة متوقعة؛ هذا يقول كذا، وهذا يقول كذا، وسيقول له كذا، وما هكذا أنزلت، لا ما هكذا سمعته، لا ما هكذا سمعته، فتحصل من هذه الأشياء...، ولذلك القرآن تجد أن روايته ونقله...، يعني هو العلم الوحيد الذي يمتاز بخاصية المشافهة، هو العلم الوحيد القرآن يمتاز بالمشافهة، يعني الإجازة المعتبرة فيه: العرض، ليس فيه قضية أنا أجيزك، إنما عرض، اعرض؛ اقرأ، شافِه، هكذا، ويأتي معنا في آخر باب إن شاء الله.

المتن: (باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ الآية).

الشرح: ﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾[الكهف:٥٧].

انظروا هذه النتيجة، لماذا؟ لأنه قد وقع في هذا الإعراض، والإعراض لا يكون إلا من متكبر في الغالب.

المتن: (قال النبي صلى الله عليه وسلم: « الكبر بطر الحق وغمط الناس »).

الشرح: « بطر الحق » يعني: يستعلي على ناصحه ومرشده، وهو حرام من كبائر الذنوب، ولذلك أتى: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »، وكان أحد الصحابة حاضر فكان في ذهنه شيء قال: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسن ونعله حسن. قال ﷺ: « إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق » يعني: ردّه. « وغمط الناس » يعني: احتقارهم.

« بطر الحق وغمط الناس » يعني: ردَّ هذا القائل بالحق وأعرض عنه، واحتقر هذا الذي أتى لأنه يرى في نفسه أنه قد تجاوز مرحلة أنه يُنبه ويُعلم أو يُنصح أو يُذكر؛ هذا مريض، هذا مرض، وأيم الله هذا مرض؛ إذا وجدت في نفسك استعلاء من نصح الناس تراك مريض عالج قلبك، عالج قلبك، ما أجمل أنك تُنصح وتَرجع، استغفر الله وتب إليه، فاعرف كذا وصار كذا، جزاك الله خير، الله يجزاك خير، استغفر الله وأتوب إليه.

لا هذا كذا، وهذا كذا، فيبدأ يغالب ويكابر، لماذا؟ لأنه يريد أنه يبرر نفسه أنا ما أخطأت!

إلا أخطأت واستغفِر الله وتُب إليه.

فإذا وجدت نفسك أنك فيك هذه الصفة ترى عندك نسبة كِبر. انتبه!

إذا وجدت في نفسك إذا أحد بيَّن لك وأنكر عليك أو شيء من هذه الأمور احذَر نفسك تراك فيك نزعة كِبر ؛ فتجده ماذا ؟ إذا نُصح والناصح له مصيب وهو مخطيء فتجده ردَّ عليه ، هذا الرد الذي هو ردَّ عليه هو جانب انتصار لنفسه ، والعاقل أول ما يأتيه التنبيه يقول : شكرًا ، جزاك الله خير .

وأنت ما يحتاج أحد يقول لك شيء في نفسك ؛ أنت عندك ميزان من نفسك ، قلبك ، أنت أدرىٰ الناس بقلبك ، أنت أدرىٰ الناس بنفسك .

لماذا إذا جاءتك النصيحة ما قبلتها ؟ يقول : لأنه لم ينصحني إلا استهزاءًا بي .

دعك من قصده لا علاقة لك به ، لكن نصيحته التي جاءتك اقبلها ، النبي ﷺ ما قال له اليهودي : أما إنكم القوم لولا أنكم تقولون كذا . . . ؟ قَبل منه النبي ﷺ قال : نعم .

ولذلك إذا نُبهت تنبه ، وإذا نُصحت استنصح ، وإذا ذُكرت تذكر ، وإذا عُلمت تعلم ، وإذا فُهمت افهم ، وإذا أُنكر عليك استجب .

فكل الردود هذه تدل علىٰ صفة سيئة .

قال : « الكبر بطر الحق » يعني : ردَّه . « وغمط الناس » : احتقارهم .

أنت من أنت؟ أنت وين درست؟ أنت عندك شهادة؟ أنا متخرج شريعة ، أنا درست علىٰ العلماء ، أنا دكنور ، كيف أنت تأتي تنكر؟ أنت وين تشتغل؟

انظر لغة الاحتقار ، ولذلك لما أقام النبي ﷺ الحجة علىٰ كفار قريش اعترضوا عليها بشبهات وأشياء كثيرة ، من صفات المناوئين لدعوة الرسل : منها استهزاء ، منها الرد ، منها الشبهات ، وتجد هذا في بعض الآيات أحيانًا تأتي كذا صفة من صفات المناوئين لدعوة الرسل والمشابهين لهم وإن اختلفوا في الأحكام إلا أنهم يستهزؤون ؛ فالنبي ﷺ لما أقام عليهم الحق والحجة ماذا قالوا ؟ ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ص:٤-٥] .

ما هو العُجاب ؟ العجاب فعلكم أنتم ما هو بدعوته .

ثم تناصروا علىٰ الباطل : ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾[ص:٦] ، جولات في الباطل يوصي بعضهم : احذر ، احذروا ، هذا احذروه ! لا تسمعوه ، ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾ اثبتوا علىٰ الذي أنتم عليه ، لا تسمعون منه ، بل والغوا فيه أن هذا . . .

ثم ردوا الحق بشبهة باطل : ﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [ص:٧] آخر ملة من هي؟ النصارىٰ ، لأن النصارىٰ يرون التثليث ، ﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٞ ﴾ يعني آخر ملة ترىٰ أن

الله ثالث ثلاثة ؛ احتجوا بتحريف النصارى في دعوة النبي ﷺ يردُّون عليه بشبه الباطل: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴾ .

ثم انظر إلى لغة السخرية والاستهزاء: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ ﴾ [ص:٨] .

فأجاب الله ﷻ على مثل هؤلاء: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِي ٱلْأَسْبَبِ ۝١٠ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾[ص:٨-١٤] إلى أن استعرض الله ﷻ جميع المخالفين وماذا كان لهم من جزاء .

فلغة الاستهزاء والسخرية موجودة ، فإذا نُصحت استنصح لا تغالبك نفسك المريضة بالكبر فترد الحق .

المتن: (وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: من أكبر الذنوب عند الله أن يقول العبد: اتق الله . فيقول: عليك بنفسك) .

الشرح: يعني يقول له شخص: اتق الله . فيقول له: عليك بنفسك . وهذا كما قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [البقرة:٢٠٦] .

هذا الحديث فيه ما فيه ولكن هذه الآية تغني ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [البقرة:٢٠٦] .

هذا يعني أنه قد كمُلت نفسه ولا يمكن أن يطرأ عليه النقص حتى تأت أنت تكمله ، غرور ، هذا كبر ، عالي ، فيه وصمة شيطانية وفرعونية ، هذا الكبر فيه وصمة شيطانية وفرعونية .

شيطانية: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص:٧٦] .

وفرعونية: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤] .

وعند الموت ماذا قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٩٠] .

المتن: (وفي الصحيح عن أبي واقد الليثي ﷺ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه» انتهى) .

الشرح: هذا فيه بيان حال هؤلاء، النبي ﷺ أتى ثلاثة وما علِم الصحابة عنهم، لكن هذا يُعلم منه أن مجالس العلم إذا أتى الإنسان فيجلس؛ لأن أحيانًا تكون كلمة في مجلس والمتكلم يتكلم ويدخل شخص: السلام عليكم. يريد العالم تسكت وتسلم عليه! لا، السنة أنك تجلس، ما الدليل ؟ هذا الحديث، أن النبي ﷺ كان في مجلس فلما أتوا الثلاثة جلسوا، ما سكت النبي ﷺ بل الصحابة ما دروا عنهم هؤلاء الذين جاؤوا، الثلاثة هؤلاء أحدهم مستكبر ما رأى أحد يهتم فيه مجيئه فأعرض فأعرض الله عنه، وأحدهم أتى في طرف الجلسة وجلس استحى، أما الثالث أتى حتى دنا فهذا راغبٌ في الخير فكان كلا منهم له جزاء فعل، ولكن الأول كان معرض، ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان:٧] . فمن الناس من هذه صفته؛ وهذه لأن فيه كِبر، صفة الكبر صفة شيطانية .

المتن: (قال قتادة في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الآية: لعله أن لا يكون أنفق مالا، وبحسب امريء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق) .

الشرح: وهذا موجود، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان:٦] .

فبعض الناس يشتري الأشرطة والأغاني وما شرى مرة شريط قرآن، يقول: القرآن موجود في الإذاعة، لكن الأغاني هذه أنا أبغيها واشتريها .

فهؤلاء يشترون لهو الحديث، يعني: يستبدلون الحق بالباطل، والآن ربما يجدون بعض من يسمعون منه مثل هذه الأمور فيزيد على ضلاله أنه ضل الناس معه .

قال : (لعله أن لا يكون أنفق مالا ، وبحسب امريء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق)
يعني : هذا نوعٌ من الشراء ، يعني قد يشتري بدون دفع مال ، واضح ، قد يشتري من دون دفع المال ؛ لأنه صرف الوقت ، والوقت ثمين ، ولذلك عموم الإجارات كلها بالوقت ؛ بالزمن ، أنت مستأجر ، الوظائف الآن ، الراتب الذي يمشي في وظيفة ، عامة الآن مكاسب الناس كلها عن طريق ماذا ؟ تأجير الأوقات ، أنت أجير ، وهذا أجير ، وهذا أجير ، هذا أجير ليعلم ، وهذا أجير ليكتب ، وهذا أجير ليصمم ، وهذا . . . ، كلها . . . ، عامة الآن مكاسب الناس من الإجارات في المنافع المتبادلة بين الناس .

المتن : (باب ما جاء التغني بالقرآن عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن » وفي رواية : « لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » أخرجاه . وعن أبي لبابة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » رواه أبو داود بسند جيد . والله سبحانه وتعالى أعلم آخره وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه .) .

الشرح : (باب ما جاء التغني بالقرآن) هذا آخر باب وبه نختم الكتاب فالحمد لله على توفيقه .
التغني أنواع ، فابن حجر – رحمه الله – ذكر فيها جملة ، نقل عن ابن الجوزي – رحمه الله – أربعة معاني ، قال في التغني :

- تحسين الصوت ، معنى التغني تحسين الصوت .
- وقال معنى آخر وهو الاستغناء به عن غيره .
- وقال التحزن ، وهذه نسبت للشافعي – رحمه الله – .
- وقيل أن التغني الاستغناء به ، أي : التشاغل به عن غيره .

زاد ابن حجر – رحمه الله – قال :

- أن يتغنى به أي : يستلذ له .
- وقال : أن يجعله هجيره . يعني : ديدنه .

واختار الرابع الذي هو التشاغل به ؛ ابن حجر – رحمه الله – اختار قال : أن يلازم القرآن ولا يتعداه لغيره ، يعني يكون استغناء به عن غيره .
والذي يظهر – والله أعلم – أن جميع هذه الأقوال صحيحة يعني بمعنى : أن يتغنى بتحسين صوته ، متحزنًا به ، منشغلا ، متلذذًا ، هجيره ، ملازمًا له ، فكلها أقوال صحيحة .

أما ما يأتي وما يحصل الآن من التمطيط والمدود الذي يزيد في الحروف فيضيف في القرآن حروفًا فيأتي معنى آخر ، أو هذه الترانيم التي تشابه ترانيم النصارى واليهود ، بل وصلوا إلى حال التشبه بفجرة وفسقة أهل المجون والغناء ، فهذا كله من المزالق الخطيرة .

التحسين شيء ولكن عندما يخرج تحسين الصوت إلى مجاراة الفساق لأصحاب الغناء مع هذه الألحان ؛ بل وصل البعض إلى القراءة على السلم الموسيقي ، ولهم في الموسيقى سلم يذكرونه ، منظومتهم التي يذكرونها ، فيأتي على السلم ، أو يأتي على نسق آخر ويسمونها بالمقام ، فيرفع المقام ، أو ينزل المقام ، أو يميل في المقام ، أو يرخي في المقام ، ولهم فيها امتحانات وربما لا يتجاوز لأنه لم يضبط نبرة المقام !

فما أقام القرآن على نفسه بالاستقامة ؛ إنما ذهب إلى تلك التكلفات التي ذكرت لكم في دروس ماضية ، ربما تجده مجتهد في القراءة وهو عند القبر : مدد يا سيدي!

وهنا في مسألة تحسين الصوت هي التي ينبغي ، ففرقٌ بين التغني وهو : تجويد وتحسين الصوت وإخراج الحرف من مخرجه الصحيح ، عن الغناء المعلوم المعهود الذي تسمع صوته فلا يتفكر الناس في ما يقرأ إنما يتمايل الناس مع اللحن ، يتمايلون مع اللحن .

وتجدهم يمكن يصلي خلف بعض الناس ويبكي ولو قلت له : لماذا بكيت ؟ قال : والله صوته بكّاي .

طيب والآية التي ذكرها ؟!

لأنه سمع اثنين ثلاثة جنبه بكوا بكى معهم ، فهيجه البكاء ، والصوت حزين ، ويبكي مع نبرة الصوت الحزين لا على المعنى الذي أثر في نفسه فجعل فيها نوع من الرقة والتقوى والانكسار والذل والاطراح بين يدي الله ؛ إنما هو ذويق صوت! واضح ، فهذا ليس مما يُحمد .

ترتيل القرآن جميل ، قال تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزمل:٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان:٣٢] . وهو العلم الوحيد الذي يؤخذ بالمشافهة ، خصوصية هذه .

أما قوله ﷺ : « ليس منا من لم يتغنى بالقرآن » أي : ليس على هدينا ولا طريقتنا من لا يقرأ كقراءتنا ، واضح ، ليس منا ولا على هدينا ولا على طريقتنا من لم يقرأ كقراءتنا ؛ فالقراءة رواية متسلسلة إلى النبي ﷺ إلى جبريل عليه السلام عن رب العالمين ، هذه الرواية ، فهذا هو الهدي الذي ليس منا من لم يتغنى بالقرآن .

تمت والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .